

الراصد

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد ١٦٣ ربيع الآخر ١٤٣٨هـ

الدواعش الخوارج يمهدون الطريق للشيعة الروافض

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

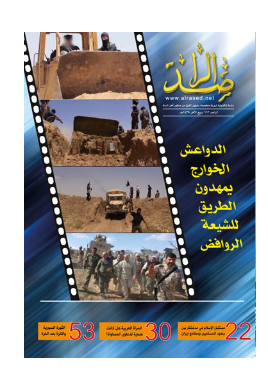
دراسات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية تصدر بداية كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٦٣)
ربيع الثاني- ١٤٣٨ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

الدواعش الخوارج يمهدون الطريق للشيعة الروافض

في هذه المرحلة الجديدة من عمر أمتنا يتلاقى الخوارج والشيعة من جديد للتخادم والتقاطع كما فعلوا من قبل على يد مؤسسهم اليهودي ابن سبأ.

فبسبب وحدة المصدر نجد أن هناك تقاربا على مستوى الأفكار والمفاهيم والمواقف ومنها:

١- أصل منهج الطرفين اتباع المتشابه من آيات القرآن الكريم ونبذ الآيات المحكمات.

٢- ازدراء وتنقص الصحابة رضوان الله عليهم.

٣- معاداة الدولة والسلطة الإسلامية القائمة والسعي لهدمها.

ولذلك كان ظهور الخوارج والشيعة وامتلاكهم للقوة دوماً يوجه ضد الأمة الإسلامية، فدول الشيعة كالقرامطة والفاطميين العبيديين والصفويين ونظام الملالي اليوم كانت دوماً وبالاً على أمة الإسلام، وفي المقابل كانت دول الخوارج بشمال أفريقيا سبباً للفتنة وتعطيل حركة الجهاد وإثارة الخلافات الداخلية، وذلك بعد زعزعتهم دولة الخلافة الراشدة بقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان والخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

ولذلك كان دور الخوارج عبر التاريخ يتمركز حول زعزعة الأمن وإثارة النزاع بين الناس وحكامهم وإثارة روح الشغب والغضب على قياداتهم، ورفع شعارات براقة وصحيحة لكنها تطبق بطريقة مدمرة وظالمة.

وهذا كله هو نتاج صفاتهم وشخصيتهم التي وصفها لنا النبي ﷺ فيما رواه البخاري حين قال عنهم: «يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة لا يجاوز إيمانهم حناجرهم»، وقال فيهم أيضاً: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»، وفي رواية: «يقاتلون أهل الإيمان ويتركون أهل الأوثان».

وهذا كله مشاهَد ماثل في داعش وأخواتها، فهم حدثاء الأسنان يستقطبون الشباب والشابات الصغار غالباً، وهم أيضاً يركّزون في دولتهم على تربية الصغار على الغلو وهو ما قد يشكل تهديدا بالمستقبل بعد سقوط دولة داعش، إذ ما هو مصير هؤلاء الأطفال الذين غسلت أدمغتهم ودربوا على التفجير والاغتيال؟

وهم سفهاء التفكير وهذا ما تجده في حواراتهم وبياناتهم وخطبهم من تكفير سائر المسلمين وإباحة دمائهم وسقوط كل الخيارات لديهم إلا خيار القتل والتفجير والتخريب، وغياب أي رؤية للإعمار أو الإصلاح أو التنمية.

وأيضاً تجد أنهم مقتنعون أن تخريب الأحوال العامة هو سبب لهيجان العامة والناس على حكامهم مما يحقق خطتهم، بينما الواقع يقول إنهم فشلوا في ذلك في كل مكان كالصومال أو أفغانستان أو العراق أو سوريا فضلاً عن دول الربيع العربي، فعمّ الخراب ولم تتحقق دولتهم ولا مصلحة الإسلام والمسلمين!

وهم أيضا يَقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، وهذا أصبح محل إجماع حيث أن غالب هجمات داعش تكون ضد الفصائل المجاهدة والمقاومة في كل البلاد التي وصلوها، بينما تسلم منهم القوى المناوئة للإسلام غالباً!

وبالمقابل يتكالب العالم على المسلمين بحجّة محاربة الإرهاب والتطرف المتمثل بداعش، فيتم قتل وتهجير مئات الآلاف من خصوم داعش، وتدمر مناطق خصوم داعش، بينما تنجو وتسلم داعش ومناطقها من الهجمات والصواريخ القاتلة، في تلاعب وتخادم خبيث.

وفي عصرنا الحاضر نجد أن الشيعة والخوارج تقاطعت مصالحهم ومن ثم نجح الشيعة في توظيف الخوارج واختراقهم، ويمكن أن نقسم هذه العلاقة لأربعة مراحل، عبر مسيرة نظام الملالي التي قاربت على الأربعة عقود.

المرحلة الأولى: عقب تكوّن نظام الملالي واعتماد سياسة تصدير الثورة، فتم احتضان ودعم جماعات العنف والقتال كالجماعة الإسلامية وحركة الجهاد في مصر، والجماعات المقاتلة في الجزائر، وبدايات تكوّن تنظيم القاعدة عندما كان في السودان.

والمرحلة الثانية: العمل على تثوير الشباب السني ضد حكوماته مع تقريب الشيعة من الأنظمة القائمة كما نصّت على ذلك الخطة الخمسينية السرية الإيرانية، وذلك عقب هزيمة إيران أمام العراق وموت الخميني، وتسلم خامنئي ورفسنجاني الحكم ثم مجيء خاتمي، والسعي نحو التصدير الثقافي للثورة الإيرانية، وفعلاً تحول الشيعة من الصدام مع دول الخليج (تفجيرات مكة، تفجيرات الكويت، محاولة اغتيال أمير الكويت، محاولة انقلاب بالبحرين) إلى حلفاء ورفقاء سلميين في العملية الديمقراطية، وتحول السنة من حلفاء إلى معارضة!

المرحلة الثالثة: عقب أحداث ١١ سبتمبر، والإطاحة بإمارة طالبان ولجوء قادة تنظيم القاعدة لإيران، حيث تم استخدام القاعدة في تنفيذ عمليات إرهابية ضد السعودية، وقد اعترف بتقاطع المصالح مع طهران عدد من قادة القاعدة منهم أبو حفص الموريتاني مفتي القاعدة وأبو محمد العدناني الناطق الإعلامي لداعش.

المرحلة الرابعة: وهي مرحلة داعش حيث تم تسهيل نشأة داعش وتحركها وتمددها ومدها بالمال والسلاح مع اختراقات في القيادة.

وفي هذه المرحلة أصبحت داعش كالآليات الكبيرة التي تمهد لشق الطرق أمام الآليات الصغيرة، فقامت داعش بتدمير القوى السنية العلمية والسياسية والعسكرية المضادة للمشروع الشيعي والإيراني، وقامت بتدمير البنى التحتية لمناطق السنة، كما قامت بتشويه سمعة السنة وتصنيفهم كإرهابيين، وفي نفس الوقت تقديم كل المبررات والحجج لإجرام المليشيات الشيعية الطائفية بوصفها مدافعة عن السلام في وجه الإرهاب، ومن ثم تقوم داعش بتسليم مناطق السنة للمليشيات الشيعية التي عجزت عن الاستيلاء عليها دون خدمات داعش!

واليوم وقد نجحت داعش في تنفيذ المخطط في العراق وسوريا، وبدأت به في اليمن بمهاجمة القوات العسكرية الشرعية بالتفجيرات الآثمة والغادرة، وإشغال سيناء وليبيا بمعارك لا ثمرة منها ولا فائدة سوى تحطيم الدول والجيوش المسلمة السنية في صراعات عبثية، نراها تفتح جبهة جديدة مع الأردن بتفجيرات إرهابية تقتل الأبرياء ولا تخدم أي قضية أو مصلحة.

فهل لو نجحت داعش في هزيمة أي بلد أو جيش سيكون ذلك لمصلحة الناس وأمنهم وسلامتهم ورفاهيتهم، أم سيكون ذلك بوابة العبور والمرور للمشروع الشيعي بداية، ولغيره من المشاريع المعادية للأمة؟

إن الواقع شاهد في العراق وسوريا على تمهيد داعش الطريق للمشروع الإيراني على حطام المدن السنية بعد تهجير أهلها بفضل كواتم ومفخخات داعش، وها هي اليوم تعبث بأمن الأردن واليمن والسعودية ومعلوم أن ثمرة ذلك تسقط في الحضن الإيراني الشيعي بالدرجة الأولى.

ومن هنا يتوجب على العقلاء وأهل الرأي عدة أمور:

أولاً: الحذر والانتباه لحقيقة المخطط، واليد التي تحرك المخطط وعدم الاكتفاء بإدانة داعش، وإنما أيضًا البحث عن الداعمين والمحرضين والمستفيدين.

ثانياً: سرعة العمل على تحصين المجتمعات من الدعاية الإرهابية الداعشية والشيعية والتي تلقى رواجاً بسبب جودتها الفنية وخبثها بالتلاعب العاطفي، ويساعدها في ذلك الكثير من القصور والأخطاء القديمة والمتجددة في واقعنا السياسي والاقتصادي والأخلاقي والديني.

ثالثاً: ضرورة قيام العلماء والمفكرين بوضع رؤية فكرية تحارب رؤية الدواعش والروافض تصدر منها برامجهم وأنشطتهم، والعمل بشكل صحيح وبطريقة سليمة وشاملة على جميع المحاور المطلوبة من خلال التكامل والتشارك عبر استقطاب كل الطاقات والقدرات.

رابعاً: إن بقاء البوصلة مضطربة في تحديد هوية العدو واستراتيجيته وتحالفاته هو من أخطر الأسلحة التي تستثمر من الدواعش والروافض لغزو بلادنا.

من دعاة الفتنة والضلال في عصرنا
١٤- أحمد الكبيسي

إعداد: فادي قراقرة– كاتب فلسطيني - خاص بالراصد

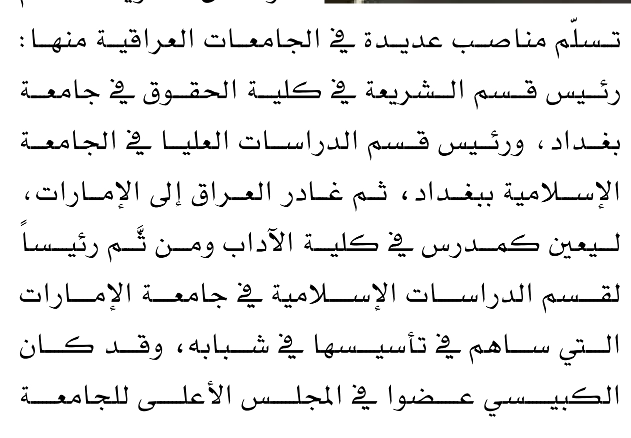
التاريخ الإسلامي مليء بالشخصيات التي تلبست بطامات متنوعة برغم زعمها نصرة الإسلام، فمنهم من طعن بالسنة ومنهم من طعن بالصحابة ومنهم من كذب على رسول الله ﷺ ومنهم من عبث بمقررات الدين الأصلية من الأصول والثوابت.

وصاحبنا لهذه الحلقة جمع ذلك كله تحت عباءة التحرر من التعصب والانقياد إلى التحضر والرقي ومراعاة الواقع، فكان كلامه كما سترون بداية للهاوية، نسأل الله له الهداية بعد الضلال والرشاد بعد الغواية.

وتحت إغراء الجهات المشبوهة ما زال هو وغيره ينفذون رغبات أعداء الدين بالتهوين من أصوله وبالجرأة عليه!!!

ترجمته

ولد أحمد عبيد عبد الله الكبيسي في منطقة الكبيسة من مدينة الرمادي في محافظة الأنبار عام ١٩٣٤م، وحفظ القرآن الكريم قبل سن العاشرة ثم أكمل الدراسة الابتدائية والمتوسطة والإعدادية، ثم نال البكالوريوس من كلية الشريعة بجامعة بغداد، وحصل الماجستير ثم شهادة الدكتوراه في الشريعة الاسلامية من جامعة الأزهر الشريف سنة ١٩٧٠، وكانت أطروحته للدكتوراه تدور حول «حد السرقة» وأشرف على رسالته العلامة عبد الغني عبد الخالق.



عمل الكبيسي لفترة في مدارس الموصل الثانوية، ثم تسلّم مناصب عديدة في الجامعات العراقية منها: رئيس قسم الشريعة في كلية الحقوق في جامعة بغداد، ورئيس قسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية ببغداد، ثم غادر العراق إلى الإمارات، ليعين كمدرس في كلية الآداب ومن ثّم رئيساً لقسم الدراسات الإسلامية في جامعة الإمارات التي ساهم في تأسيسها في شبابه، وقد كان الكبيسي عضوا في المجلس الأعلى للجامعة

الإسلامية بالمدينة المنورة !

اشتهر أحمد الكبيسي بتقديمه برامج دعوية وتربوية ولغوية في العديد من القنوات الفضائية، حيث يغلب عليه المزاج الحاد مع مخالفيه، وضيق صدره ظاهر جداً لمن يتابعه في البرامج التلفزيونية.

هذه الحدة والعصبية عند الكبيسي تناقض كلامه عن نفسه حينما تحدث عن دراسته في مصر قائلاً: (هناك اطلعت على النسخة الأصلية من الإسلام بعدما حشي دماغي بالنسخة المزاجية في العراق ... المصريون علّموني أن أفكر بهدوء وعلموني أن الإسلام ليس بهذا الثقل والمشقة الشديدة، عليك أن تكون طيبا لتتعلم الفرز والتعددية والرأي المخالف. حقاً أنا رأيت أن هذا شيء جميل منهم)، ورغم ما في عبارته من طعن مبطن في أهل بلده، إلا أنه لم يتمكن من اكتساب الطبع المصري ولم يلغ عنده المزاجية المدعاة.

لذا نستطيع أن نقول إن المنهجية التي يسلكها أحمد الكبيسي في تقويم الآراء والأفكار هي مزاجية لا منهجية لها، ولعل ضخامة مساحة التناقض والاضطراب البارزة على مواقفه وآرائه هي دليل ذلك.

كذبات وتناقضات أحمد الكبيسي

الكذب عند الدكتور أحمد الكبيسي صنعة متقنة، لكنها سريعا ما تسقط وتظهر عند البحث العلمي لأن الحق بذاته لا يخفى والباطل بنفسه لا يبقى؛ يكاد شعري يقف من هول ما أسمع من كذبات الدكتور أحمد الكبيسي، سواء كذبه على الرسول ﷺ بخاصة أو كذبه على الشريعة بعامة، كما أن له في كلامه وأحاديثه ومواقفه تناقضات كثيرة تدل على اضطراب ونقص في المصداقية.

فمن كذبه على النبي ﷺ نسبته له أحاديث باطلة، بل لم أجد لها مصدراً واحداً، حتى في الكتب التي تخصصت بذكر الأحاديث الموضوعة أو الباطلة أو الضعيفة - ومن باب المثال لا الحصر- :

❖ نسب الكبيسي للنبي ﷺ أنه كان يطوف بالكعبة فلما مر بالركن الشامي قال: اللهم آتنا في شامنا.. وكان حينها رجل قصير خلفه فقال للرسول: يا رسول الله وعراقنا؟ فلم يرد عليه.. وأكمل الرسول: وفي حجازنا وفي يمننا، وهذا الرجل خلف الرسول يقول له وعراقنا، لكن الرسول لم يرد عليه.. وعندما انتهى الرسول ﷺ من الطواف نادى على هذا الرجل وقال له: أعراقي أنت؟ قال له: نعم أنا عراقي.. فقال له: عندما أراد العراقيون أن يحرقوا إبراهيم أراد أن يدعو الله عليهم، ولو دعا الله عليهم لاستجاب.. فبعث الله له جبريل وقال له، قل له: يا إبراهيم ربك يقول لا تدعُ على أهل العراق، وقد جعلت فيهم خزائن علمي وخزائن رحمتي. وهذا الحديث كذب على النبي ﷺ.

❖ نسب للنبي ﷺ أنه اعطى الراية يوم خيبر لأبي بكر وعمر فانهزما، ثم أعطاها لعلي فانتصر، وهذا من الكذب الذي له قرون فلم يعط النبي ﷺ الراية يوم خيبر لأبي بكر ولا لعمر رضي الله عنهما!!

❖ نسب للنبي ﷺ أنه قال في علي رضي الله عنه: (لعن الله من ناصبكم العداء).

❖ نسب للنبي ﷺ أنه قال: (يا خالد؛ دع عنك أصحابي، أنتم مو أصحابي أنتم جئتم بالسيف، أنتم الطلقاء)، وهذا من الكذب الذي لم يقله النبي ﷺ ، ولم يتلفظ به، ومما يزيد ظهور بطلانه وأنه كذب أن مصطلح الطلقاء إنما

المراد به من أطلقهم النبي ﷺ بعد فتح مكة، وكان خالد قد أسلم بعد غزوة الأحزاب وقبل فتح مكة، فكيف يكون من الطلقاء؟!

ومن كذباته الظاهرة على الشريعة والمسلمين بشكل عام:

❖ ادعى الكبيسي أن الذي لقي موسى عليه السلام عند مجمع البحرين ليس الخضر، بل هو البعد الرابع لمحمد ﷺ!

❖ ادعى أن معاوية بن أبي سفيان وأباه رضي الله عنهما ارتدا عن الإسلام بعد غزوة حنين، وهذا من الكذب[1] الذي ليس عليه بيّنة.

❖ زعم الكبيسي أن خالدا بن الوليد رضي الله من الطلقاء الذين أسلموا بعد فتح مكة، وهذا من الكذب الظاهر باتفاق المسلمين، فان خالداً قد شهد فتح مكة وقد أسلم بعد غزوة الحديبية في السنة السادسة من الهجرة[2].

❖ زعم الكبيسي أن الروافض صاروا روافض بإسماعيل الصفوي، وصرنا نحن نواصب بمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وقال: ما فيش حدا أحسن من حدا[3].

❖ طعن أحمد الكبيسي في أهل بلده (الأنبار) فسماهم بالنواصب وكان يقول: أنا كنت من الأنبار، وأهل الأنبار نواصب يقولون علي مش بتاعنا[4]!! وهذا من الكذب الذي له قرون حتى رد عليه أهل بلده ومشايخها ببيان مشترك!!

❖ ادعى كذباً أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وهو على فراش الموت قال لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: هل لي من توبة؟؟ فقال له ابن عمر: هيهات هيهات يا معاوية، وهذا مما لا يعرف له إسناد فضلاً عن مرجع واحد.

❖ ادعى أن الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان فسق، أما الطعن في علي بن أبي طالب لوحده فهذا كفر!! رغم أنه في حلقة له على قناة دبي قال: (الأنصار والمهاجرين هذول محميين حماية كاملة وسبهم كفر لا لأنهم صحابة، ولكن لأن النبي أوصى بهم وحماهم)[5]!! فإن كان سبّ المهاجرين كفرا، فإن على رأس المهاجرين أبا بكر وعمر وعثمان، فكيف يكون سبهم هناك فسقا ليس بكفر وسبهم هنا كفر؟!

❖ كذبه على الشريعة بقوله إن الصحابة الذين رضي الله عنهم هم: الأنصار والمهاجرون والرضوانيون، وقوله: المرضي عنهم هم أربع مئة أو خمس مئة واحد والباقي كله برا!![6]، وهذا من الكذب بل من سوء الأدب أيضاً.

❖ زعم الكبيسي ناقلاً عن يهودي أن من سيزيل اليهود من فلسطين رجل كردي ولعله يكون من أحفاد برزاني!![7].

❖ نسب لابن مسعود رضي الله عنه؛ ومرة نسب هذا القول إلى عبد الله بن عمر، القول بأن الذي يحرر الأرض المقدسة هم من العراقيين، وهذا كله من الكذب الذي لا زمام له ولا خطام.

❖ ادّعى كذباً أن الله يخلق من جسد المعذب في قبره جسداً آخراً يشبهه في الشكل ولكنه يعذب في السماء وليس في الأرض، وهذا معنى

(١) https://www.youtube.com/watch?v=fgeNmIpO5kw
عنوان اليوتيوب: أحمد الكبيسي يتطاول على بعض الصحابة رضي الله عنهم.
(٢) المقطع السابق.
(٣) المقطع السابق.
(٤) المقطع السابق.

(٥) https://www.youtube.com/watch?v=pi0mtwMjhic
آخر الدقيقة الأولى.
(٦) المقطع السابق.
(٧) http://rudaw.net/arabic/middleeast/iraq١٠١١٢٠١٤٢

عذاب البرزخ عنده.

❖ يزعم أن نائلة بن الفرافصة زوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه، خلعت حجابها عن رأسها في يوم مقتله لما دخل عليه الخوارج ليقتلوه حتى تردهم عن قتل عثمان[1]، وهذا من الكذب بلا نزاع.

❖ اتهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنه كفّر أبا بكر الصديق[2]!!

❖ غلوه في صدام حسين حتى شبهه بالحسن والحسين[3]، ثم سئل: ماذا تقول في صدام؟ فقال: (صدام مجرم) [4]!

هل أحمد الكبيسي متشيع أم يحاول تذويب الفروق بين الشيعة والسنة لمصالح شخصية فقط؟!

على غرار تناقض مواقف ومعتقدات الكبيسي الدينية فإن مواقفه السياسية سريعة التقلب والتناقض بحسب تقلب المطامع السياسية، فمنذ احتلال العراق ومواقفه السياسية من الأمريكان والإيرانيين والشيعة تتقلب بحسب قربه وبعده منهم وطمعه في التكسب من نفوذهم.

فبعد الاحتلال الأمريكي للعراق عمل الكبيسي على إنشاء جمعية العلماء المسلمين التي ضمت المسيحي واليهودي والشيعي على حد قوله[5]، في محاولة لتصدر المشهد الديني والسياسي.

ثم أعلن بعدها عن إعطائه مهلة لجيش الاحتلال الأمريكي لتحقيق وعوده!![6] في الوقت الذي يعتبر الأمريكيين صمام الأمان في العراق بقوله: (الأمريكان شئنا أم أبينا موجودون ونحن ككل العراقيين نرفض وجودهم، ما من عراقي يريدهم، إلا أن وجودهم أصبح ضرورة الآن، وأنا واحد من الناس أنادي وأعترف أن وجود الأمريكان ضرورة، بدونهم نموت؛ حيث سيختفي هامش الأمن الذي يحققونه والذي لا يزيد عن ١٪، لكننا بحاجة إليه)[7]!

أما بخصوص الشيعة فسعى الكبيسي إلى أن يحصل على دعم من الحكومة العراقية الشيعية ليكون مرجعاً لأهل السنة في العراق!! لكن باءت محاولته بالفشل، وطرد من العراق أو خرج منها هارباً.

ورغم ذلك بقيت مواقفه متناقضة فيما يخص الشأن الشيعي؛ فمرة يطعن في الحشد الشعبي الشيعي بزعم أنه يقتل أهل السنة، وفي المقابل يثني ثناء عطراً على مقتدى الصدر بخاصة، والتيار الصدري بعامة، وهو المتورط في قتل أهل السنة منذ بداية الاحتلال الأمريكي والإيراني للعراق، بل بلغ به الأمر أن تمناه رئيساً للعراق رغم ما فعله مقتدى الصدر من جرائم القتل في أهل السنة وعلى الهوية، والتاريخ لا ينسى!![8].

بل تجاوز هذا الحد حتى سئل في إحدى حلقاته عن حقيقة دعمه للتيار الصدري: (هل

(١) https://www.youtube.com/watch?v=bZn8tRxbEww&spfreload=١٠
الدقيقة: ١٠

(٢) AWMkLliZQSY=v?watch/com.youtube.www://https
في آخر الدقيقة الثانية.

(٣) قناة الجزيرة، برنامج الشريعة والحياة (الموقف الإسلامي من الأزمة العراقية)، بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٤.

(٤) على قناة العربية.

(٥) https://www.youtube.com/watch?v=uY6yP8oL_yw
برنامج إضاءات - أحمد الكبيسي، الجزء ١ (الدقيقة ٧).

(٦) http://archive.aawsat.com/details.asp?article=169256&issueno=8925#.WFxfCdJ97IU

(٧) موقع إسلام أون لاين، بتاريخ ٢٠٠٣/٤/٥.

(٨) https://www.youtube.com/watch?v=0F5ZhdNlfyY&t=108s
الكبيسي ونظرته للحشد الشعبي المقدس ولجرذان داعش ٢٠١٦/٦/١٠ - قناة السومرية- الدقيقة ٤٦- ٤٧.

صحيح أنك تعطي مقتدى الصدر مالاً كما قالت صحيفة أمريكية؟!

الكبيسي: قالوا إني أعطيته خمسين مليون دولار وهذا كذب، **ولو كان عندي لأعطيته!**

المقدم: هل تحرض السنة على الصلاة في النجف مع الشيعة ..؟!

الكبيسي: نعم، وأنا أفتخر بذلك(.

وبين هذا وذاك القول بأن المذهب الشيعي إنما هو من جملة المذاهب الإسلامية التي تعددها كتعدد الزهور في الحديقة! والعجب أن يقول هذا الكلام بعد كل ما جرى من عدوان وتكفير وتقتيل من الرافضة وما يجري وما سيجري!!

ومن طاماته طعنه وكذبه على أهل السنة على حساب حبه للرافضة، فعلى قناة دبي لما انتقده أحد المتصلين بشأن وفاة المرجع اللبناني محمد مهدي شمس الدين، عندها عجز لسانه عن الجواب فخرج عن طوره قائلاً: (ألم تعلم أن أهل السنة كانوا يشتمون أهل البيت لمدة ١٣ سنة على المنابر في عهد بني أمية، كفانا تحاملاً على الشيعة)!!، فهلا أتى هذا المفتري بدليله على أننا سببنا أهل البيت لمدة ١٣ سنة؟! ولعله لأنهم على حد قوله: هؤلاء أخوالي! فهنيئاً له بأخواله.

الكبيسي وتأييد العلمانية

موقف الكبيسي من العلمانية موقف مريب بحق فهو يذم الوصف والمسمى ويرضى بالتطبيق والواقع بحجج واهية سخيفة، فمن أقواله: (الدولة الإسلامية لم تقم منذ خمسة عشر قرنا)!! وقال أيضا: (ما من عباءة أشد فُرقة من العباءة الدينية)، والتي أكد عليها بقوله: (أنا لم أكن انفعاليا، أنا عن علم أقول هذا الكلام، العباءة الدينية فرّقت الأمة تفريقاً كاملاً، التفريق بين المسلمين الآن أساسه رجال الدين إذا صحت التسمية أساسه العلماء)، وهذا النفي للدولة الإسلامية طيلة تاريخها ضرب من الجنون والحمق، أما تحميل وزر كل الفرقة للعلماء فهو ظلم، لكن من لديه انحراف منهجي ومطامع شخصية لا يجدي الحوار معه.

ولذلك حين سئل عن البديل الذي يريده قال: (اتركوا الحرية للناس، فلتكن دولة كالإمارات، تصير مسلم تروح على الجامع تروح على الخمارة، وبالتالي دولة دينها الرسمي الإسلام أحكامها إسلامية؛ الأحوال الشخصية إسلامية في المساجد، الإسلام دين الدولة الرسمي والناس أحرار فيما يفعلون وهناك قانون عقوبات على الجميع) [1].

وهذا الموقف المرحب بالعلمانية موقف قديم، إذ يقول الكبيسي إن صدام حسين استشاره في تطبيق حد السرقة بصفته متخصصا في ذلك وهذا موضوع رسالته في الدكتوراه، لكن الكبيسي رفض ذلك وبرر رفضه بقوله: إنه (يحتاج إلى خليفة مسلم وأنت لست بخليفة؟!!) [2]، وهنا تحتار مما تعجب من عرقلته تطبيق حكم شرعي أو من تبريره الذي لا يمت للعلم بصلة!

تلاعبه بأحكام الدين في فتاويه العجيبة

على حساب القيم والأخلاق وعلى حساب الأعراف والعادات يخرج علينا أحمد الكبيسي بمجموعة من الفتاوى سماعها يكفي للحكم ببطلانها، فهي ناقضة لنفسها، لا يقبلها عاقل يفهم دين الله، بل يتجاوزها الجاهل مستحقراً لها لأن الفطر السليمة تأبى الفاحشة وتدفعها.

فهو يشجع أحد الشباب على الزنا بدلاً من أن ينصحه ويعظه، حيث اتصل به شاب أنه يزنى

---

(١) https://www.youtube.com/watch?v=N-xQO3Et_sQ برنامج إضاءات - أحمد الكبيسي الجزء ٤.

(٢) المصدر السابق.

مـرات وأنـه كلمـا زنـى يتـوب ثـم يرجـع إلى ذنبـه مــرة أخـــرى، وعنـــدها جـــاء جـــواب الكبيــــسي الفريـد العجيـب بعـد أن لـف ودار: (صـديقتك هـذه تقـــول لهـــا: زَوَّجتـــكِ نفـــسي وتقـــول لـــك: قبلـــت وانتهينا!!

نكـاح المتعـة لـيس زنـا ولا يعاقـب عقوبـة الزنـا !!نعـم حـرام لكـن لـيس كـبيرة ولكـن كمـا لـو واحـد سـبيته) [1]. العجيـب أن الـشاب الزانـي أفقـه مـن الكبيـسي حيـث هـو يـسميه زنـا وهـذا الفقيـه يتحايـل ويـسميه زواج متعـة وهـو يعـرف تحريمـه! ثـم أيغفـل أحمـد الكبيـسي أن منـع الزنـا مقـصد مـن مقاصـد الـدين الخمـس الـتي قامـت عليهـا الـشريعة لرعاية مصالح العباد!!

ومـــن عجائبـــه تجـــويز الاخـــتلاط بـــين الـــذكور والإنـــاث في التعلـيم والعبـادة والمحـاكم والأعـراس والاجتماعـــات الـــسياسية، وأنـــه (أحـــد الأحكـــام الفقهيـــة الـــتي تخـــضع لاخـــتلاف الزمـــان والمكـــان والعوائـد، وهـذا أصـل مـن أصـول الفقـه، وبـاب لا يُنكــر تغــير الأحكــام بــتغير الزمــان والمكــان)، مؤكــداً أن هــذا الموضــوع يخــضع للمــزاج واصــفاً التـــصريحات الـــتي تخـــرج مـــن علمـــاء الـــدين في تحـــريم الاخـــتلاط بأنهـــا: (نفثـــات وخلجـــات مـــن أنـاس يعـانون اضـطراباً نفـسياً) [2]، والحقيقـة أنـه وصَف نفسه بدقة.

وأيـضا الكبيـسي يفـتي بالاحتفـال بعيـد الحـب بـــشرط عـــدم وجـــود مـــا حرّمـــه الله، والعجيـــب أن أغلب المحتفلين به أصلا حبهم حرام!!

ولـيس مـا سـبق بـأغرب مـن نفيـه لوجـود يـأجوج ومـأجوج بـالمعنى المـذكور في النـصوص وفي اعتقـاد المسلمين، وحملـه لمعنـى يـأجوج ومـأجوج علـى كـل مـن يقتـل البـشر في أي زمـن كـان فهـو يـأجوج ومأجوج [3]!!

بـل بلغـت فيـه الجـرأة أن يـزعم بـأن الحـديث في مـسألة خلـق القـرآن الـتي خـالف فيهـا المعتزلـة أهـل الـسنة، ومـسألة القـدر ومـا يتبعهـا مـن مـسائل كــ: هـل الانـسان مـسيّر أو مخـير؟ مـن المـسائل التاريخيـة التافهة [4]!!!

الخاتمة

الانتـصار للـنفس هـو الـسبب الـرئيس في كـذب أحمـد الكبيـسي علـى الـنبي ﷺ وعلـى أصـحابه وعلـى الـدين بـشكل عـام، والمـزاج الغاضـب والجهـل العلمـي وغيـاب المنهجيـة المنـضبطة هـي المسؤولة عـن الآراء والمواقـف الغريبـة والـشاذة الـتي تبناهـا الكبيـسي، وهـذا بالتحديـد هـو مـا يفـتح لـه شاشات بعض القنوات الرسمية.

(١) https://www.youtube.com/watch?v=GP8Y_-E8iUU&t=105s

(٢) https://www.alarabiya.net/articles/2010/04/28/107142.html

(٣) https://www.youtube.com/watch?v=bZn8tRxbEww&spfreload=١٠

(٤) المقطع السابق: الدقيقة ٣٣.

٣- ثورات الخوارج
الخروج على عليٍّ رضي الله عنه

هيثم الكسواني(*) – خاص بـ «الراصد»

انتقل الخوارج السبئية بعد إشعالهم الفتنة بين المسلمين في معركة الجمل، سنة ٣٦هـ، إلى مؤامرة جديدة، ففي «الجمل» اندسّوا في صفوف الجيشين، كما بيّنّا في المقال السابق، وكادوا يفقدون عقولهم عندما علموا أن المسلمين تداعوا إلى الصلح وترك القتال، لذلك قاموا بإنشاب القتال بين الفريقين، لأن الصلح بين بين المسلمين لم يكن في صالح الخوارج.

وبعد معركة الجمل، حدث القتال في «صفّين» بين أهل العراق بقيادة علي بن أبي طالب، وأهل الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان، والفرق هنا أن الخوارج السبئية في هذه المعركة لم يستطيعوا التواجد إلاّ في جيش واحد منهما، هو جيش العراق، حيث كان لابن سبأ جناح سرّي في الكوفة، وآخر في البصرة، بخلاف جيش الشام، الذي فشل في إيجاد العملاء بداخله، وذلك ناجم عن التفاف أهل الشام حول أميرهم معاوية، وولائهم له[1].

وفي «صفّين» تداعى المسلمون إلى الصلح، بأن رفع أهل الشام المصاحفَ فوق الرّماح، قائلين لأهل العراق: هذا بيننا وبينكم (أي القرآن)، قد فني الناس فمن للثغور؟ ومَن لجهاد المشركين والكفار[2]؟

ولأن عليًّا كان يعتقد أن رفع المصاحف خدعة من أهل الشام لتجنب الهزيمة التي أوشكت أن تقع بهم[3]، فقد رأى مواصلة القتال، لكنّ الخوارج كانوا يرون عكس ما يراه، وأجبروه على وقف القتال، والرضا بالصلح والتحكيم، تحت ذريعة النزول على حكم كتاب الله، ويرى د. حافظ موسى أن هدف الخوارج الحقيقي من القبول بالتحكيم كان خشيتهم من أن تدين الأمة لعليٍّ في حال انتصاره على معاوية، وأن تتوحد كلمتها تحت لوائه، فيُقدِم على اجتثاث الفتنة التي أعقبت مقتل عثمان من جذورها، ويقتصّ من قتلته، ثم ينطلق في الفتوحات ونشر الدعوة في ربوع الأرض[4]، وهو ما لا يروق لهؤلاء الخوارج، بل سيدفعون ثمنه، لأنهم هم الذين قتلوا عثمان بن عفّان، وتسببوا بهذه الفتنة.

ووصل الأمر بهم إلى أن يتوعّدوا عليًّا إن هو خالفهم فيما ذهبوا إليه، ويهدّدوه بمصير عثمان، فقالوا له صراحةً: «يا عليّ، أجِب إلى كتاب الله إذ دُعيت إليه، وإلاّ دفعناك برمتك إلى القوم، أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفّان، إنه لّما ترك

(*) كاتب أردني.

(١) أصول وعقائد الشيعة الاثنا عشرية تحت المجهر، ص ١٧١.

(٢) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٠٤.

(٣) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٠٤.

(٤) أصول وعقائد الشيعة الاثنا عشرية تحت المجهر، ص ١٦٨ – ١٦٩.

العمل بكتاب الله قتلناه، والله لتفعلنّها أو لنفعلنّها بك»[1].

ولعلّ هذا التهديد لعليٍّ يكشف بوضوح أن الخوارج لم تكن مشكلتهم مقتصرة على عثمان، رضي الله عنه، ولا على أقاربه أو الولاة الذين عيّنهم، كما زعموا، بل إن خلافهم هو مع عموم المسلمين، فإنهم في بادئ الأمر قتلوا عثمان، بزعم أنه خالف الدين، واعتبروا ذلك أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، وألحّوا على عليٍّ بقبول الخلافة بعد عثمان، وانضموا إلى جيشه، وأصبحوا من مستشاريه على غير رغبة منه، ثم إذا بهم يتوعدونه ويهددونه بالقتل!!

بعد ذلك، اتفق الجيشان على أن ينتدب كل واحد منهما حكمًا، ليعملا على الصلح وإنهاء القتال، فاختار معاوية من طرفه عمرو بن العاص، أما عليٌّ فعانى مع الخوارج السبئية الأمرّين، فقد أراد أن ينتدب ابن عمّه، عبد الله بن عباس، إلاّ أنهم رفضوا، وفرضوا عليه أبا موسى الأشعري، واجتمع الحكمان، وقرّرا ما يؤدي إلى وقف القتال، وهنا تثور ثائرة هؤلاء الخوارج من هذا التحكيم، رغم أنهم كانوا وافقوا على التحكيم بل طالبوا عليًّا من قبل بالاستجابة إلى وقف القتال.

أما حجة الخوارج من رفض التحكيم فهي أن عليًّا ومعاوية حكّما الرجال في دين الله، وصاروا يرددون قول الله تعالى ﴿إن الحكم إلاّ لله﴾، وعليٌّ يَقول في شأن هذه الآية: «كلمة حقٍّ أُريد بها باطل»[2].

وجاوز الخوارج كل الحدود بأن كفّروا عليًّا، وطلبوا منه بأن يشهد على نفسه بالكفر[3]، وإعلان التوبة، والعودة عن التحكيم، والرجوع لقتال أهل الشام، وقد قال له أحدهم: «تُب إلى الله من خطيئتك، وارجع عن قضيتك، واذهب بنا إلى عدوّنا حتى نقاتلهم حتى نلقى ربّنا»[4]. فذكّرهم عليٌّ بأنه دعاهم للقتال من قبل لكنهم رفضوا «قد أردتكم على ذلك فأبيتم»[5]، والآن يطلبون منه معاودة القتال بعد التحكيم والصلح، وبعد أن صار بين الجيشين مواثيق وعهود!

إنه لأمر غريب أن تقوم هذه الشرذمة بتكفير رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة الذين بشّرهم النبي ﷺ بالجنة، وتكفير الصحابة الذين رضي الله عنهم ورسولُه، وما أشبه الليلة بالبارحة، فقد كفّر خوارجُ اليوم علماء المسلمين وقادتهم، وأباحوا دماءهم وأموالهم، لا لشيء إلاّ لأنهم لم يوافقوا هواهم واجتهاداتهم العجيبة، ولم يسيروا خلف خلافتهم المزعومة.

عاد الجيشان من صفين، فرجع معاوية إلى الشام، ورجع علي إلى الكوفة، ورجع معه الخوارج وهم يتدافعون الطريق كله، ويتشاتمون، ويضطربون بالسياط، يقول بعضهم «يا أعداء الله، أدهنتم في أمر الله عز وجل وحكمتم»، ويقول الآخرون «فارقتم إمامنا وفرّقتم جماعتنا»[6].

وقبل دخوله إلى الكوفة انسحب من جيشه قرابة اثني عشر ألفًا، هم الخوارج، وأبوا أن يساكنوه في بلده، ونزلوا في مكان خارج الكوفة، يقال له حروراء[7]. وقد أرادوا التوجّه في بادئ الأمر إلى المدائن[8]، التي كان عليٌّ قد نفى زعيمَهم ابن سبأ إليها لمّا قال مقولاته المنكرة، ليتحصّنوا بها، وينطلقوا منها لمحاربة المسلمين، وتباحثوا في ذلك، ممّا يذكره الإمام ابن كثير، فيقول: «والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلاّل،

(١) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٠٤.
(٢) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٠٩.
(٣) جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة، ص ٤٩٢.
(٤) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥١١.
(٥) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥١١.
(٦) جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة، ص ٤٩١، وأصول وعقائد الشيعة الاثنا عشرية تحت المجهر، ص ١٧٣.
(٧) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٠٧.
(٨) مدينة عراقية تقع إلى الجنوب الشرقي من العاصمة بغداد، وكانت فيما سبق عاصمة لدولة الساسانيين الفرس.

والأشـقياء في الأقـوال والأفعـال، اجتمـع رأيهـم علـى الخــروج مــن بــين أظهــر المـسلمين، وتواطــأوا علــى المـسير إلى المــدائن ليملكوهــا ويتحــصنوا بهــا ثــم يبعثـوا إلى إخـوانهم وأضــرابهم - ممّـن هـو علـى مـا هُـم عليـه، مـن أهـل البـصرة وغيرهـا - فيُوافـوهم إليها، ويكون اجتماعهم عليها.

فقال لهم زيد بن حصين الطائي: إن المدائن لا تقــدرون عليهــا، فــإن بهــا جيــشاً لا تطيقونــه وسـيمنعونها مـنكم، ولكـن واعـدوا إخـوانكم إلى جـسر نهـر جوخـا، ولا تَخرجـوا مـن الكوفـة جماعـات، ولكـن اخرجـوا وحـداناً لـئلاّ يـشعروا بكم.

فكتبوا كتاباً عاماً إلى مَن هو على مذهبهم ومسلكهم من أهل البصرة وغيرها، وبعثـوا بـه إليـه ليوافـوهم إلى النهـر، ليكونـوا يـداً واحدة علـى النـاس، ثـم خرجوا يتسللون وحـداناً؛ لـئلاّ يعلـم أحـد بهـم فيمنعـوهم مـن الخـروج، فخرجـوا مـن بـين الآبـاء والأمهـات والأعمـام والعمّـات وفـارقوا سـائر القرابـات، يعتقـدون بجهلـهم وقلـة علمهـم وعقلـهم أن هــذا الأمــر يرضــي رب الأرض والــسموات»[1]، ولا تـزال هـذه الـسرية والمخادعـة في الخـروج لنـصرة تنظـيم الخوارج هو المنهج المتبع لديهم.

أما د. حافظ موسى فيرى أن الخوارج عدلوا عن الذهاب إلى المدائن بتوجيه من قيادة التنظيم السرّي الذي كان يقوده ابن سبأ، القـابع هنـاك في المـدائن، خـشية انكـشاف أمـره، فـضلاً عـن أنـه لم يكـن يـضمن هـؤلاء علـى نفـسه، مـا قـد يـؤدي إلى عرقلـة تنفيـذ مخططـه، وحـدوث صـدام مباشـر بـين الـشيعة الخـوارج الملـتفّين حـول زعـيمهم وعلـي بـن أبـي طالب[2].

لم ييأس عليٌّ من هؤلاء وأبدى لهم النصح وناظرهم حول ما نقموا عليه، كمـا أرسـل إلـيهم ابـن عمّـه، عبـد اللّه بـن عبـاس، حـبر الأمـة وترجمـان القـرآن، فنـاظرهم، وأزال شـبهاتهم الـتي أثاروهـا حول عليٍّ، وهي:

١- أنـه حكّـم الرجـال في ديـن اللّه، عنـدما وافق علـى انتداب حكـم مـن طرفـه لحـلّ الخـلاف مـع معاوية.

٢- أنـه قاتـل أناسًـا فلـم يـسبِ ولم يغـنم، فـإن كان قد حلّ قتالهم فقد حلّ سبيهم، وإلا فلا.

٣- محـا نفـسه مـن إمـرة المـؤمنين[3]، فـإن لم يكن أميرَ المؤمنين فهو أمير المشركين.

وقد أجابهم ابن عباس بإجابات شافية على ما أثاروه، فقال لهم: أما قولكم إنه حكّم الرجال في أمـر اللّه، فـإني سمعـت اللّه يقـول في كتابـه: ﴿يا أيُّها الـذينَ آمنُوا لاَ تقتلُوا الـصَّيدَ وأنـتُمْ حُـرُمٌ وَمَن قتلهُ مـنكم متعمـداً فجَـزاء مثلُ مَـا قتَـلَ مِـنَ الـنعَم يَحـكُـمُ بِـهِ ذوَا عَـدلٍ مِـنكُم﴾ [المائـدة: ٩٥]، وذلـك في ثمـن صـيد أرنـب أو نحـوه قيمتـه ربـع درهـم فـوّض اللّه الحكـم فيـه إلى الرجـال، ولـو شـاء أن يحكـم لحَكـمَ، وقـال: ﴿وَإنْ خفـتمْ شِـقاق بَينهمـا فـابْعَثوا حَكَماً من أهلهِ وَحَكَماً من أهلِهَا﴾ [النساء: ٢٥].

وأما قولكم: قاتـل فلـم يـسبِ فإنـه قاتـل أمّكـم[4]، فـإن زعمـتم أنهـا ليـست بـأمّكم فقـد كفـرتم، وإن زعمـتم أنهـا أمكـم فمـا حـل سـباؤها، فأنتم بين ضلالتين.

وأما قولكم: إنـه محـا اسمـه مـن إمـرة المـؤمنين، فـإني أنبـئكم عـن ذلـك. أمـا تعلمـون أن رسـول اللّه ﷺ يـوم الحديبيـة جـرى الكتـاب بينـه وبـين سـهيل بـن عمـرو، فقـال يـا علـيّ اكتـب: هـذا مـا قاضـى عليـه محمـد رسـول اللّه، فقـالوا لـو علمنـا أنـك رسـول اللّه مـا قاتلنـاك، ولكـن اكتـب اسمـك واسـم أبيـك، فقال: اللهم إنك تعلم أني رسولك، ثـم أخذ الـصحيفة

(١) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥١٢.
(٢) أصول وعقائد الشيعة الاثنا عشرية تحت المجهر، ص ١٧٤ – ١٧٥.
(٣) عند كتابة بنود الصلح في حادثة التحكيم لم يقبل معاوية أن يكتب فيها على أمير المؤمنين، مبرراً ذلك بأنه لم يبايعه ولم يعتبره أمير المؤمنين، ولو كان بايعه أميراً للمؤمنين لما قاتله.
(٤) أي أم المؤمنين عائشة رضى اللّه عنها، فقد كانت في معركة الجمل في الجيش المقاتل لجيش علي رضى اللّه عنه.

فمحاها بيده، ثم قال يا عليّ اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، فوالله ما أخرجه ذلك من النبوة.

قال الراوي عن ابن عباس بعد هذه المناظرة: (فرجع ثلثهم إلى جيش علي، وانصرف ثلثهم، وقُتل بقيتهم على الضلالة)[1].

وإذا كان قسمٌ من هؤلاء اتعظ وعاد إلى رشده، فإن الآخرين أخذوا يستعدون لقتال علي، ويمعنون في تكفيره، وفي تلك الأثناء، عزم عليٌّ على العودة لقتال أهل الشام، وبينما هو كذلك «بلَغه أن الخوارج قد عاثوا في الأرض فساداً، وسفكوا الدماء وقطعوا السبيل واستحلّوا المحارم.

وكان من جملة من قتلوه عبد الله بن خباب، صاحب رسول الله ﷺ، أسروه وامرأته معه وهي حامل، فقالوا له: من أنت؟

قال: أنا عبد الله بن خباب، صاحب رسول الله ﷺ، وأنتم قد روّعتموني.

فقالوا: لا بأس عليك، حدّثنا ما سمعت من أبيك.

فقال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ستكون فتنةٌ القاعدُ فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي).

فقادوه بيده، فبينما هو يسير معهم إذ لقي بعضهم خنزيراً لبعض أهل الذمّة فضربه بعضهم بسيفه فشقّ جلده.

فقال له آخر: لِم فعلت هذا وهو لِذمي؟

فذهب إلى ذلك الذمّي فاستحله وأرضاه.

وبينما هو معهم إذ سقطت تمرة من نخلة فأخذها أحدهم فألقاها في فمه.

فقال له آخر: بغير إذن ولا ثمن؟

فألقاها ذاك من فمه، ومع هذا قدّموا عبد الله بن خباب فذبحوه، وجاؤوا إلى امرأته فقالت: إني امرأة حبلى، ألا تتقون الله عز وجل!

فذبحوها وبقروا بطنها عن ولدها.

فلما بلغ الناس هذا من صنيعهم خافوا إن هم ذهبوا إلى الشام واشتغلوا بالقتال أن يخلفهم هؤلاء في ذراريهم وديارهم ويفعلوا هذا الصنيع، فخافوا غائلتهم، وأشاروا على عليّ بأن يبدأ بهم»[2].

كم يثير أمر هؤلاء الخوارج، وورعهم الكاذب المزيّف، الاستغراب، فيذهبون إلى صاحب الخنزير ليصفح عنهم، ويلقي أحدهم التمرة من فمه لأنها أكلها من غير إذن صاحبها، أما المسلمون وأصحاب رسول الله، ﷺ، فلا كرامة لهم ولا حق، يُقتلون وتُقتل نساؤهم بغير ذنب اقرفوه، «يَقتلون صحابيا جليلا، ويسترضون ذميّا في خنزير»[3]، ومن هذه الحادثة نعرف أن (سنة) الذبح التي يقوم بها خوارج اليوم هي (سنة) سلفهم الخوارج الأول ضد الصحابة!

رأى عليّ بعد ما رآه من الخوارج، أن قتالهم يكتسب الأولوية على أي شيء آخر، بسبب عظيم إفسادهم، يقول ابن كثير: «إذ لو قووا هؤلاء لأفسدوا الأرض كلّها عراقًا وشامًا، ولم يتركوا طفلا ولا طفلة، ولا رجلا ولا امرأة، لأن الناس عندهم قد فسدوا فسادا لا يصلحهم إلا القتل جملة»[4]، واليوم يتكرر شؤم وفساد الخوارج في العراق والشام وغيرها من الدول.

(١) انظر المزيد حول المناظرة: هيثم الكسواني، مقال «ابن عباس يناظر الخوارج»، موقع الراصد، زاوية سطور من الذاكرة، العدد ٥٠، شعبان ١٤٢٨هـ، على الرابط:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=4907

(٢) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥١٣.
(٣) جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة، ص ٤٩٧.
(٤) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥١٣.

واجتمع الفريقان في موضع يقال له النهروان[1]، ومع كل ذلك، ظل عليّ يحاول تجنّب قتالهم فعرض عليهم أن يسلّموه قتلة عبد الله بن خباب وأهله، وقتلة الحارث بن مرة العبدي، رسول عليّ إليهم، مقابل أن يتركهم «وبعث إلى الخوارج: أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم لنقتلهم بهم، ثم إنا تاركوكم وذاهبون عنكم إلى الشام، ثم لعلّ الله أن يُقبل بقلوبكم ويردّكم إلى خيرٍ مما أنتم عليه. فبعثوا إلى عليّ يقولون: كلنا قتل إخوانكم، ونحن مستحلّون دماءهم ودماءكم»[2].

وكان لا بد من قتالهم، رغم ما أبداه لهم عليّ والصحابة من نصح وما بذلوه لهم من الأمان، فوقعت معركة النهروان في السنة السابعة والثلاثين للهجرة، وأقبل الخوارج يقاتلون الصحابة، وهو يقولون: «إن الحكم إلاّ لله، الرواح الرواح إلى الجنة»[3]، وحدثت بالخوارج مقتلة عظيمة، ولم يُقتل من أصحاب عليّ إلا سبعة نفر، وقُتل أمراء الخوارج، وعلى رأسهم عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح بن أوفى.

أما حرقوص فكان يُعرف بذي الثدية، وكان مقتله دليلا على صحة قتال علي للخوارج، فقد كان النبي ﷺ قد أخبر عليّا بخروج الخوارج عليه، وأخبره عن أوصاف أحدهم، وهو ذو الثدية، «فصار عليٌّ يبحث عنه في القتلى حتى وجده، فلمّا وجده سجد لله شكرًا، إذ علم أنه على الحق»[4].

أهم المراجع

- الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
- د. عطا الله المعايطة، جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة والردّ على الفرق حتى نهاية العصر الأموي، الدار الأثرية للطباعة والنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ (٢٠١٦م).
- د. حافظ موسى عامر، أصول وعقائد الشيعة الاثنا عشرية تحت المجهر ودور ابن سبأ في تأسيسها ونشأتها، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).
- الشيخ عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية (مصر)، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

(١) موقع يقع إلى الغرب من نهر دجلة، على بعد ٣٥ كم من بغداد.
(٢) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥١٣.
(٣) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥١٤.
(٤) حقبة من التاريخ، ص ١٩٧.



الراصد – العدد ١٦٣– ربيع الثاني ١٤٣٨هـ

إعلام "داعش"...
الوسائل والأهداف وسبل المواجهة

أسامة الهتيمي(*)– خاص بالراصد

سببان رئيسان كانا وراء حالة الدعم والتأييد الجزئي التي حظي بها ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية «داعش» سواء داخل محيط العالمين العربي والإسلامي، أو خارج هذا المحيط، وهو الدعم الذي اتخذ شكلين؛ أحدهما تمثل في قبول البعض لسلوك وتحركات هذا التنظيم، والآخر انعكس في قدرته على استقطاب أعداد ليست بالقليلة ممن يوصفون بالجهاديين حيث التحق به آلاف الشباب من بعض البلدان العربية والإسلامية فضلا عن الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الأوروبية فانخرطوا في صفوفه يقاتلون بين جنوده وأنصاره ويأتمرون بأمر قادته.

ويتمثل السبب الأول في طبيعة الظرف السياسي الذي تمر به المنطقة خاصة في العراق وسوريا وهو الظرف الذي كان بمثابة تربة خصبة تترعرع فيها مثل هذه التنظيمات التي لم تكن لتقوى وتتمدد إلا في حالات ضعف الحكومات المركزية واندلاع صراعات مذهبية أو عرقية نتيجة ممارسات الإقصاء والتهميش التي تمارس بحق فئات مذهبية أو عرقية كالذي حدث بحق السنة العراقيين على أيدي الحكومات العراقية المتعاقبة التي تشكلت بعد الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م، فمنذ ذلك الحين وهذه الحكومات التي يترأسها شيعة لم تترك شكلا من أشكال الاضطهاد أو التعسف إلا ومارسته، حتى وصل الأمر إلى ذروته في عهد نوري المالكي، وهو ما أسفر في نهاية الأمر عن تشكل مجموعات تسمت باسم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا قامت دعوتها الأولى على حماية أهل السنة في العراق والدفاع عنهم.

وتكرر نفس المشهد تقريبا في سوريا التي أجبر فيها بشار الأسد المعارضة السورية على أن ترفع السلاح حماية لنفسها ضد هذا التجبر الذي مارسه بحقها فكان الاعتقال والتعذيب والحصار والقتل دون هوادة بحق أهل السنة، الأمر الذي حوّل سوريا إلى جحيم مستعر لهؤلاء السنة على أيدي قوات الأسد بمساعدة وإشراف من ميلشيات المرتزقة الشيعة من إيران ولبنان والعراق وأفغانستان وباكستان والذين راح ضحية جرائمهم حتى الآن أكثر من نصف مليون قتيل و١١ مليون لاجئ ومشرد فضلا عن المصابين والمعاقين.

لقد دفعت هذه المآسي التي وقعت في كل من العراق وسوريا الكثيرين إلى أن يتعاطفوا مع أية محاولات للثأر والانتقام حتى لو كان بعضها غير منضبط بالمعايير الشرعية، أو على أقل تقدير فإن هؤلاء المتعاطفين قد قبلوا أي تأويل يمنح مثل تنظيم «داعش» حق ما يمارسه إذ الاستسلام

(*) كاتب مصري.

للرغبة في الثأر يحجب الرؤية عن العقل من أن يرى الكثير من ملامح المشهد ومعطيات الواقع وما يجب أن يكون وما لا يجب أن يكون خاصة وأن البلدان العربية والإسلامية المنوط بها الدفاع عن حقوق هذه الشعوب قد تخلت عنها تماما فلم تقدم ما يخفف عنها فضلا عن عجز الشعوب.

ويتمثل السبب الثاني، وهو ربما السبب الأهم، في الإعلام إذ يمكن أن نقول إن سلاح الإعلام الذي استخدمه تنظيم «داعش» كان له من الأثر ما يفوق بمراحل استخدام السلاح التقليدي وغير التقليدي، فقد استطاع التنظيم وعبر الاعتماد على عدد من الكوادر الإعلامية ذات الكفاءة الإعلامية العالية فضلا عن الأستديوهات والآلات الإعلامية التي امتلكها بعد الاستيلاء على العديد من المدن خلال معاركه من أن يقدم صورة شديدة الإبهار جذبت إليه أعين الشباب المتطلعين الذين رأوا فيما يقدم صورة ونموذجا لانتصار غاب عنهم طويلا، وهي صورة بلا شك تحدث أثرا كبيرا في نفوس هذا القطاع الذي ولد وعاش سنوات عمره لم يرَ فيها إلا الهزائم والانكسارات والصراعات الفكرية والسياسية وغياب الرؤية التي يمكن على أساسها رسم ملامح المستقبل، فأصبح التنظيم وشكل الدولة الإسلامية الذي يروجه حلما يراود هذا القطاع.

ودعم تلك الصورة المبهرة أن إعلام «داعش» نجح وباقتدار أيضا في أن يزيد ضبابية الصورة الخاصة به، وما يجري في تلك المناطق التي يسيطر عليها فبقي الكثير من المتابعين في حالة من عدم التيقن الكامل من تفاصيل المشهد إذ لم يتوان إعلام «داعش» عن أن يفند الكثير من الشبهات التي كانت تثار حوله سواء على لسان من يعتبرهم أعداءه أو من المشايخ والدعاة الذين رفضوا منهجه وسلوكه وحاولوا أن يثنوا الشباب عن الالتحاق بهذا التنظيم.

ولم يكتف التنظيم بالرد على الشبهات، بل إنه حرص على أن يثير المشاعر فقدم عبر وسائل إعلامه صور الدمار والخراب التي تسببت فيها أيدي أعدائه، الذين هم أعداء الإسلام والذين ما اجتمعوا إلا ليحاربوا دولة قررت أن ترفع راية الحق وتعلي كلمة الله محاولا في الوقت ذاته خلال كل هذا أن يقدم الأدلة والبراهين على صحة منهجه وسلوكه.

ويبقى أخيرا ذلك الاهتمام الكبير الذي أولاه التنظيم لمواقع التواصل الاجتماعي فكان أحد أهم أدواته للتواصل مع الشباب والفتيات في كل بقعة من بقاع الأرض فيتحاورون مع هؤلاء الشباب ويردّون على أسئلتهم واستفساراتهم ويقدمون لهم الوعود الوردية في حال قرّروا أن يتركوا بلادهم ويرحلوا متجهين إلى العراق أو سوريا.

في هذا السياق تأتي أهمية الدراسة التي قدمها الإعلامي والباحث حسين عبد الظاهر لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وذلك ضمن أوراق مؤتمر «الإرهاب وسبل معالجته» والذي نظمته الكلية وجاءت تحت عنوان «قراءة في الخطاب الإعلامي لتنظيم الدولة الإسلامية» إذ وفي مقدمة دراسته أكد الباحث أن تنظيم الدولة الإسلامية بات واحدا من أكبر التنظيمات الإرهابية في المنطقة العربية التي وظفت الإعلام على نطاق واسع لخدمة أهدافها فتفوقت في المجال على كثير من التنظيمات، بل والدول، مضيفا أن الخبراء والمراقبين يكادون يجمعون على أن سيطرة التنظيم على مساحات شاسعة في سوريا والعراق واستقطابه عشرات الآلاف من المقاتلين يعودان إلى استخدامه آلة إعلامية ضخمة يواجه بها خصومه ويحشد أنصاره في حرب إعلامية يخوضها بدرجة عالية من التقنية والشمول والاحتراف مستعينا بجنود يصعب حصرهم من المؤيدين الإلكترونيين عبر العالم.

وتحت عنوان فرعي داخل الدراسة أشار الباحث إلى أن بناء قوة تنظيم الدولة الإسلامية لم يتوقف عند قوة السلاح وإعداد المقاتلين بل تخطى

التنظيم ذلك إلى إعداد كتائب من الإعلاميين، فأولى اهتماما كبيرا ببناء منصاته الإعلامية، كما أولى اهتماما كبيرا بإعداد كوادره الإعلامية المدربة بل إن اهتمام التنظيم بإعلامييه لا يقل عن اهتمامه بمقاتليه.

ونقل الباحث عن تقرير أعدته منظمة «مراسلون بلا حدود» يؤكد ما ذهب إليه إذ أفاد تقرير المنظمة أن تنظيم «داعش» عامل الصحافيين المنضوين تحت رايته معاملة الأمراء لضمان بقائهم من جهة وولائهم اللامتناهي من جهة أخرى.

ولفت الباحث إلى أن التنظيم حرص على تأسيس جهازه الإعلامي الخاص في وقت مبكر حيث تعود بداية نشأة الجهاز الإعلامي للتنظيم إلى أيام تسميته «دولة العراق الإسلامية» عام ٢٠٠٦ حين أقام «مؤسسة الفرقان» وبعض المؤسسات الإعلامية الأخرى التي كان لها دور كبير في العديد من المعارك العسكرية والفكرية التي خاضها التنظيم فيما بعد.

وأورد الباحث أسماء بعض المؤسسات الإعلامية التابعة للتنظيم والتي يعتمد عليها في بث مواده الإعلامية ومنها - فضلا عن مؤسسة الفرقان- مؤسسة الاعتصام التي تم الإعلان عنها مع تمدد التنظيم في سورية، ومؤسسة الحياة التي تبث إصدارات مرئية باللغة الإنجليزية كما تصدر مجلة دابق الإلكترونية ومؤسسات أعماق والبتار والخلافة وأجناد للإنتاج الإعلامي والغرباء للإعلام والإسراء للإنتاج الإعلامي والصقيل والوفاء ووكالة أنباء «البركة» ووكالة أنباء «الخير» وإذاعة البيان التي تبث بأمواج قصيرة من مدينة الموصل، ولها أبراج بث في مدينة الرقة، كما تبث نشراتها عبر الإنترنت من خلال موقع يوتيوب فضلا عن مكاتب إنتاج إعلامي في الولايات الخاضعة للتنظيم وجيش «إلكتروني» فاعل على شبكة الإنترنت يتكون من أكثر من ١٢ ألف مناصر تشكل من أكثر من ٨٠ دولة، ويعد أحد أهم التشكيلات التي تناصر التنظيم.

وفي إطار محاولة التعرف على منهجية إعلام التنظيم استند الباحث إلى عدد من النماذج الإعلامية لـ «داعش» وكان من بين هذه النماذج نشرات إذاعة البيان حيث رصدت الدراسة أن هذه الإذاعة تقدم نشرة يومية في حدود ٨ إلى ١٠ دقائق تقريبا وتحتوي كل نشرة على أخبار «الولايات» المختلفة التي يسيطر عليها التنظيم وأخبار معاركه العسكرية سواء داخل الولايات التي تقع تحت سيطرته أو خارجها.

وفي الدراسة تناول الباحث ٥١ خبرا - تم بثها خلال ٥ نشرات - وخلص إلى النتائج التالية:

١- تتسم النشرة بقدر كبير من الاحترافية الإعلامية وفق المتعارف عليه داخل غرف الأخبار.

٢- تتم قراءة النشرة بأصوات إذاعية يبدو أنها مدربة وتتوفر لديها الملَكات الفنية المطلوبة في قارئي النشرات.

٣- تمثل الأخبار الإيجابية بالنسبة للتنظيم في النشرات نسبة ١٠٠ ٪ فجميع الأخبار تتحدث عن تسجيل انتصارات لتنظيم الدولة ولا يوجد خبر واحد سلبي يرصد هزيمة أو تراجعا عسكريا أو سياسيا للتنظيم أو يتحدث عن أي ملامح فشلٍ أمني أو اقتصادي للتنظيم أو يرصد مظهرا من مظاهر الاحتجاجات الشعبية في المناطق التي يسيطر عليها.

٤- يبث محررو النشرة ألفاظا وعبارات تحط من شأن أعداء الدولة، مثل: «الملاحدة، المرتدون، أولياء الطاغوت، نسأل الله النكاية فيهم ..» وقد وردت هذه الألفاظ وتلك العبارات ١٩٧ مرة خلال ٥١ خبرا.

٥- في المقابل تحتوى النشرة على ألفاظ وعبارات ترفع من شأن وقدر التنظيم وجنوده مثل: «جنود الله، أولياء الله، تمكنوا بحول الله من كذا.. يسر الله لهم ...» وقد وردت هذه الألفاظ والعبارات ١٠٩ مرات خلال العينة.

٦- يعمد محررو النشرة إلى الخلط بين «الخبر» الذي يحتمل الصدق أو الكذب و«الرأي» الذي يعبر عن موقف فكري أو سياسي محدد وهو أمر مستهجن ومرفوض مهنيا.

٧- صك مصطلحات إعلامية خاصة تبدو غير مألوفة لِمستمعي الإذاعات والنشرات الإخبارية على وجه الخصوص وترويجها على نطاق واسع، مثل عبارات : «صال صباح اليوم ... » بدلا من «شن هجوما» أو «هاجم ..» ومصطلح مثل «الفرازة» ويقصد به سلاح «القناصة» أو مصطلح «عملية انغماسية» ويقصد به «الانغماس» في صفوف الأعداء لتفجير النفس فيهم أو إحداث أضرار بالغة بهم.

ويرى الباحث أن الهدف من مثل هذه المصطلحات هو فرض ثقافة وأدبيات التنظيم وإيهام المستمع أن المعركة دينية عقائدية حيث إن معظم هذه الألفاظ وغيرها تتم استعارتها من النصوص الدينية ومن التراث الإسلامي.

٨- لاحظ الباحث خلال دراسة العينة عدم الالتزام بتسلسل جغرافي في أثناء بث أخبار الولايات المختلفة الخاضعة للتنظيم أو التي يحاول السيطرة عليها، فمن المتعارف عليه في نشرات الأخبار أن يكون هناك ترتيب نوعي أو جغرافي في قراءة أخبار النشرة كأن يتم عرض الأخبار المتعلقة بحدث واحد ثم الانتقال لأخبار متعلقة بحدث آخر أو أن يتم عرض أخبار المدن والولايات المتقاربة جغرافية ثم الانتقال إلى بقعة جغرافية أخرى أو البدء بعرض أخبار العاصمة والمدن ذات الأهمية السياسية والاقتصادية ثم الانتقال إلى المدن والأقاليم الأقل أهمية وهكذا.

ثم تطرق الباحث إلى نماذج أخرى تناولها بالبحث والتحليل ومنها مثلا الخطاب الإعلامي للمتحدث باسم التنظيم «أبو محمد العدناني» والذي رأى الباحث أن خطابه الإعلامي في مجمله يتمحور حول النقاط التالية:

١- تبني الخطاب الديني «التقليدي» بما يؤكد أصالة الفكرة الإسلامية لدى التنظيم «من وجهة نظرهم بالطبع».

٢- تذكير أفراد التنظيم بالقيم الإسلامية المتعلقة بإخلاص النية لله تعالى والسمع والطاعة للقيادة وغيرها من الأمور التنظيمية التي لا يجد التنظيم حرجا أمنيا أو فكريا في بثها إعلاميا.

٣- الرد على خصوم التنظيم وتفنيد آرائهم.

٤- الدعاية لأمير التنظيم «أبي بكر البغدادي» وللتنظيم وأفكاره ولـ «الدولة الإسلامية» والعمل على استقطاب أفراد جدد لا سيما ممن ينتمون لتيارات وحركات إسلامية أخرى.

واستدل الباحث على ما ذهب إليه بإيراد عدد من رسائله ومنها رسالته «ويحيى من حيّ عن بينة» ورسالة « السلمية دين من؟!» ورسالته لـ «جنود الدولة» ورسالته «رد العدناني على أحد العلماء».

ولم يفت الباحث أن يتناول خطبة قائد التنظيم «أبو بكر البغدادي» يوم الجمعة في الجامع الكبير بالموصل خلال شهر رمضان الموافق ٣١ يوليو عام ٢٠١٤ حيث أشار إلى عدة ملاحظات منها :

١- أنها خطبة قصيرة زمنيا فلم يشأ أن يطيل على المصلين ولا المستمعين، وربما أراد أن يغير الصورة السلبية التي يأخذها كثير من المصلين عن خطباء الجماعات الإسلامية الذين يطيلون في خطبهم ويرهقون المصلين.

٢- استخدم أسلوبا دينيا بسيطا إلى حد كبير يمكن أن يستوعبه عموم المصلين.

٣- يمكن تقسم الخطبة التي لم تزد عن ١٣ دقيقة و٥ ثوان إلى ثلاثة أجزاء على النحو التالي:

الجزء الأول: وهو حديث ديني عن فضائل شهر رمضان يحث خلاله المصلين وعموم المسلمين على الإكثار من عمل الصالحات خلال الشهر الفضيل. وقد استغرق هذا الجزء من الخطبة ٤ دقائق و٣٠ ثانية.

الجزء الثاني: وقد تحدث عن فريضة الجهاد - بصفة عامة- لإقامة الدين وتطبيق شرع الله وقال: «قوام الدين كتاب يهدي وسيف ينصر» وقد لا

يختلف على هذا الحديث – على الأقل من الناحية النظرية – الكثير من علماء الإسلام والمتدينين من عموم المسلمين. وقد استغرق هذا الجزء من الخطبة دقيقة و٢٢ ثانية.

أما **الجزء الثالث**: فقد خصصه للحديث بشكل مباشر عن «الدولة الإسلامية» متحدثا باعتباره خليفة المسلمين وأميرهم داعيا الناس للانضواء تحت لواء «دولة الإسلام» التي أقامها «إخوانهم» وأشار إلى وجوب إقامة «الخلافة الإسلامية» دون أن يرهق المستمع أيضا – ولا أن يرهق نفسه – بالإتيان بأدلة شرعية عن وجوب إقامة الخلافة أو ما يدلل به على أن دولة «تنظيم الدولة» هذه هي الدولة الإسلامية التي يريدها الله ورسوله.

وقد استوقف الباحث تعبير «البغدادي» عن تقصير المسلمين في إقامة الخلافة وتنصيب إمام حيث قال في خطبته: «وهذا واجب على المسلمين. واجب قد ضيع لقرون وغيب عن واقع الأرض»، الأمر الذي يعني عدم اعتبار البغدادي الدولة العثمانية دولة «خلافة إسلامية» حيث أن سقوط الدولة العثمانية وقع في عام ١٩٢٤م، أي خلال أقل من قرن من الزمان مضيفا: «ولا ندري هل تكون هذه أيضا نظرته للخلافة العباسية وكذلك الأموية؟».

٤- لم يقدم أي وعود لـ «مواطني دولته» بل على العكس ذكرها صراحة «لا أعدكم بما يعد به الحكام والملوك من رفاهية.. إنما أعدكم بما وعد الله تعالى به عباده المؤمنين»، ودعاهم للجهاد في سبيل الله.

ثم تطرق الباحث إلى تحليل مقطعين مصورين من عمليات تنظيم «داعش» أثارا ضجة كبيرة وجدلا واسعا، وهما فيديو حرق الطيار الأردني معاذ الكساسبة وفيديو ذبح ٢١ قبطيا مصريا في ليبيا.

وحول فيلم الكساسبة قال الباحث إن الجهاز الإعلامي لتنظيم الدولة حشد جميع إمكانياته لتحقيق رسالته الإعلامية على مستويات مختلفة وهو ما يمكن ملاحظته في النقاط التالية:

١- بداية من اسم الفيلم «شفاء الصدور» الذي تمت استعارته من النص القرآني «قاتلوهم يعذبهم اللّهُ بأيديكم ويخزهم وينصرْكم عليهم ويَشفِ صدورَ قومٍ مؤمنين» مع تلاوة قرآنية بصوت القارئ الشيخ محمود خليل الحصري، وهو من القراء الذين يتمتعون بشعبية واسعة في العالم الإسلامي.

٢- حاول الفيلم أن يقدم كل المبررات التي تسوغ عملية قتل «الكساسبة» بهذه الطريقة البشعة بهدف إرهاب الآخرين واستقطاب أنصار وأتباع جدد.

٣- يبدأ الفيلم بما يسمى في الدراما بـ «آفان تتر» حيث يتم بث عدة لقطات سريعة لعمليات إطلاق نار كثيفة ومتلاحقة واشتعال نيران لا يستطيع المشاهد التفرقة بين ما هو حقيقي وما هو من إنتاج برامج الـ «جرافيك».

٤- يستخدم الفيلم ما يعرف في بناء السيناريو بـ «فلاش باك» مرتين وذلك لإطلاع المشاهد على أحداث تبدو غير حاضرة في أذهان الكثيرين، وهذا التنويع في بناء السيناريو يعطي الفيلم قدرا من الحيوية والتشويق.

المرة الأولى التي استخدم فيها صناع الفيلم «فلاش باك» عندما يعود للماضي بلقطات من عملية أسر الكساسبة بعد سقوط طائرته ويظهر في الصورة مقبوضا عليه من قبل عسكريين يعتقد أنهم تابعون لتنظيم الدولة.

أما المرة الثانية جاءت بالعودة إلى لقطات بثها الفيلم يقول صناعه إنها لآثار الدمار الذي ألحقته غارات الكساسبة ورفاقه على المدن السكنية حيث يظهر في الصور مصابون وقتلى من رجال ونساء وأطفال وبعض الأبنية المهدمة إلا أن اللقطات لم تظهر أيا من الخسائر التي لحقت بتنظيم الدولة الإسلامية.

ويلفت الباحث إلى أن صناع الفيلم حرصوا

على أن ينقلوا خلاله لقاءً مع الكساسبة يدلي خلاله باعترافات، مضيفا أنه لا شك أنه مجبر على الإدلاء بها – فتبدو أن المعلومات التي يقدمها الفيلم يتم توثيقها باعترافات الكساسبة نفسه وهنا يظهر دور فن الجرافيك حيث تظهر على الشاشة الإحصاءات والأرقام وخرائط جرافيك للأماكن التي قصفها طيران قوات التحالف أو التي يخطط لقصفها خلال الأيام القادمة.

ويرى الباحث أن مثل هذه الرسومات الجرافيكية تحقق هدفين مهمين:

الأول: إثراء الشاشة وجعل المشاهد أكثر ارتباطا بها حيث تظهر معلومات تبدو أنها مهمة.

الآخر: يعطي إيحاء للمشاهد أن خطط قوات التحالف سقطت جميعها في أيدي تنظيم الدولة الأمر الذي يكسب التنظيم مزيدا من الإعجاب من قبل المشاهد.

ثم يحلل الباحث الجزء الخاص بالإعدام في الفيلم حيث يرى أن ساحة الإعدام تم اختيارها بعناية فائقة فتم التصوير في ساحة واسعة، في جنباتها مباني مهدمة يعتقد أنها من جراء عمليات عسكرية سابقة قامت بها قوات التحالف ضد «الدولة الإسلامية»، في حين يبدو من حركة الجنود والكساسبة أن هناك سيناريو احترافيا محبكا تمت كتابته بمهارة وتم توزيع وتحديد أدوار من سيظهرون في الفيلم بمن في ذلك الكساسبة نفسه حيث نراه يدخل إلى ساحة تنفيذ حكم الإعدام مرتديا زي الإعدام فيسير بضع خطوات يتلفت حوله وينظر إلى المباني المهدمة وتبدو على وجهه علامات الندم والحسرة، الأمر الذي يؤكد أن هناك سيناريو مسبقا تمت كتابته وأن هناك عملية تصوير تتم بأكثر من كاميرا أو وقف التصوير وإعادة التصوير مرة أخرى. CUT ومن أكثر من زاوية تصوير.

ويوضح الباحث أنه يظهر في الخلفية جنود التنظيم بأجسام فتية وثياب عسكرية مهندمة بعدها يظهر الكساسبة داخل قفص حديدي ثم يظهر أحد القادة الملثمين والذي يعرفه الفيلم بأنه أمير إحدى المناطق التي قصفتها طائرات التحالف، ثم وقبل تنفيذ عملية الإعدام يعرض الفيلم لقطات جرافيك سريعة ومتلاحقة تتحول إلى نيران تملأ الشاشة، الأمر الذي يحدث قدرا من الإثارة، ثم يمسك هذا القائد الملثم شعلة من النار في مواجهة القفص الحديدي وبداخله الكساسبة ثم يشعل النيران في حبل مشبع بمادة تساعد على الاشتعال موصول هذا الحبل بالقفص الحديدي ليتم استعراض حركة النيران المشتعلة في الحبل من أكثر من زاوية، الأمر الذي يكشف عن وجود عملية CUT أو توقف التصوير أكثر من مرة وإعادة التصوير من زوايا مختلفة.

ثم يستعرض الباحث بقية تفاصيل تنفيذ العملية حيث تصل النيران إلى القفص الحديدي وتشتعل في الكساسبة مشيرا إلى أن صناع الفيلم يدركون أن مشاهد إحراق إنسان حي قد تثير تعاطف الكثيرين لذلك يسارعون بكتابة فتوى للإمام ابن تيمية - تم التلاعب بها- تظهر على الشاشة أثناء مشاهد الحرق، ويرى الباحث أن لكتابة هذه الفتوى أثناء هذه اللقطات عدة أهداف من بينها:

١- محاولة التأصيل الديني للجريمة التي يراها المشاهد فيحولون «الجريمة البشعة» إلى «قصاص عادل مبرر بالدليل الشرعي».

٢- شغل ذهن المشاهد الذي لا يطيق رؤية «المشهد البشع» بقراءة الفتوى والتفكير فيها وفي صاحبها.

٣- شغل ذهن المتلقي بمناقشة هل قَتل الكساسبة بهذه الطريقة حلال أم حرام؟ ولم يتحدث عن عملية القتل نفسها أي أنه تجاوز فكرة «حرمة دم الكساسبة».

ثم ينتقل الباحث إلى تحليل نهاية الفيلم فيشير إلى أن اختتام الفيلم يتم بنشر قائمة عريضة بأسماء طيارين آخرين على قوائم المطلوبين من قبل تنظيم الدولة مع الإعلان عن مكافأة بقيمة مائة

دينار ذهبي لمن يقتل طيارا «صليبيا» وهو ما يعد إرهابا للقوات المشاركة في التحالف الدولي ليس لهم وحدهم بل ولأسرهم وذويهم.

ولاحظ الباحث أن الفيلم عرض ثلاث شخصيات درامية وهي: شخصية الضحية ممثلة في عموم المسلمين الذين قصفتهم قوات التحالف، وشخصية الجاني ممثلة في الكساسبة وقوات التحالف، وشخصية البطل المخلص أو المنقذ وهو تنظيم الدولة ورجاله، غير أن الفيلم لم يستعرض أيّا من خسائر تنظيم الدولة من جراء الطلعات الجوية لقوات التحالف وذلك لأن إعلام تنظيم الدولة لا يظهر التنظيم إلا في صورة البطل المخلص للأمة المستضعفة.

ويرى الباحث أنه تم توظيف عنصر الأزياء بطريقة تخدم أهداف الفيلم فالكساسبة لم يظهر في الفيلم إلا بزي الإعدام باستثناء لقطات أرشيفية أثناء أسره، الأمر الذي يريد من خلاله صناع الفيلم إلقاء الرعب في نفوس أعدائهم فأي جندي أو ضابط يقع في أيدي التنظيم فهو في حكم الميت، في المقابل نجد حرصا من إظهار جنود الدولة بزي مهندم لا تظهر عليه آثار قصف أو آثار معارك أو حتى آثار المبيت في العراء والهدف من ذلك هو الحفاظ على الصورة الذهنية للبطل.

ولاحظ الباحث أن من المفارقات العجيبة الجديرة بالتوقف عندها توظيف الكساسبة بشكل احترافي في إنتاج الفيلم في حركاته ونظراته مضيفا أنه قد يتساءل البعض: ما الذي دفع الكساسبة بالإذعان للتنظيم والموافقة على تنفيذ السيناريو المكتوب لا سيما وأنه مقتول لا محالة؟

ويرجح الباحث أن يكون الكساسبة قد تعرض لعملية خداع من قبل عناصر التنظيم حيث أقنعوه بالتعاون معهم في إنتاج الفيلم وتم إيهامه بأن الفيلم مجرد عملية إرهاب وتخويف للسلطات الأردنية ولقوات التحالف ولن يتم حرقه، فتعاون معهم في الإدلاء بالاعترافات التي أرادوها وفي مناشدته زملاءه الطيارين وأهاليهم بعدم المشاركة في هذه الحرب، وتعاونه في حركته أمام الكاميرا من أكثر من زاوية، مع إعادة المشهد أكثر من مرة، وفي النهاية تمت عملية الحرق.

ويخلص الباحث من تحليل الفيلم إلى أنه أحدث صدمة ورعبا كبيرين لدى الكثيرين وأنه تتجلى به بوضوح إمكانيات وقدرات التنظيم من الناحية الفنية والإعلامية بهدف إحداث حالة من الرعب، وهذا هو جوهر الخطاب الإعلامي للتنظيم.

وكانت هذه النتيجة هي نفس ما توصل له الباحث بعد تحليل تفصيلي لفيلم التنظيم الخاص بعملية ذبح الواحد والعشرين مصريا على البحر الأبيض المتوسط على أحد الشواطئ الليبية.

وفي ختام الدراسة خلص الباحث إلى عدة نقاط اعتبرها «دلالات الخطاب الإعلامي لتنظيم الدولة» ولخصها في الآتي:

١- استغلال حالة الضعف التي تعاني منها كثير من الأقطار العربية والإسلامية وتقديم الأمة الإسلامية في صورة الضحية.

٢- تقديم أعداء التنظيم في صورة الجاني سواء كان هذا العدو هو «الصليبي الكافر» أو الأنظمة «العميلة المرتدة» أو عموم «المرتدين» من المسلمين أو من الذين كانوا مسلمين.

٣- تقديم أفراد وقيادات تنظيم الدولة في صورة البطل المنقذ الذي يخلص الأمة من العدو المعتدي.

٤- رفض فكرة السلمية في التعامل مع «الأعداء» والحرص على بث الرعب في نفوسهم وتصوير من يقع في أيديهم بشكل مهين.

٥- التقليل من شأن الأعداء وتصويرهم في أسوأ صورة للتأكيد على أنهم «غير معصومي الدم» ويستحقون ما ينزل بهم من عقاب جزاء ما يقترفون بحق المسلمين.

٦- الحرص على إبراز أصالة الفكرة الإسلامية لدى التنظيم من خلال الإكثار من

الاستشهاد بالنصوص الدينية، سواء القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، وأحيانا بأقوال العلماء السابقين بهدف التأثير على المتلقي لاسيما لو كان هذا المتلقي ممن يتمتعون بقدر من الثقافة الدينية.

٧- مخاطبة أفراد التنظيم والمتعاطفين معه خطابا عاطفيا يحاول توظيف الدين لخدمة التنظيم وأهدافه.

٨- الحرص على أن تكون جميع أخبار التنظيم إيجابية وعدم نشر أي خبر سلبي.

٩- التنويع في الخطاب الإعلامي بما يتناسب مع طبيعة الموضوع وثقافة المتلقي، الأمر الذي يضطر الآلة الإعلامية للتنظيم إلى أن تتبنى خطابا تقليديا في بعض الأحيان.

١٠- استغلال جميع الإمكانيات والتقنيات الحديثة في خلق صورة مبهرة للمشاهد تجعله أكثر إعجابا وانبهارا بالتنظيم ورجاله.

١١- فرض وتمرير مصطلحات تعبر عن الفكر الأيدلوجي للتنظيم والإلحاح في استخدامها.

وإزاء هذه الحالة الإعلامية لتنظيم داعش والتي استطاعت أن تساهم في تعقيد المشهد السياسي في المنطقة برمتها فإن الباحث وضع عددا من التوصيات لطريقة التعامل مع هذا الخطاب، ومن هذه التوصيات:

١- عدم حجب المواد الإعلامية التي ينتجها التنظيم لأن الحجب قد يأتي بنتائج عكسية تدفع الشباب للبحث عن التنظيم ومنتجاته الإعلامية في وقت بات من المتعذر فيه حجب المعلومة عن المتلقي.

٢- التوصية بضرورة تغطية أو حذف المقاطع البشعة مراعاة لقيم حقوق الإنسان وقبلها القيم الدينية.

٣- كما يوصي البحث ببث مواد توعوية في ذات الوقت لتوعية الشباب تشرح لهم صحيح الدين وفق رؤية واضحة لا تعمد إلى مجرد الرد على فيديو أو رسالة للتنظيم ولكن تكون هناك منهجية واضحة مستمدة من صحيح الدين.

٤- ضرورة العمل على مواجهة فكر تنظيم الدولة بكافة الوسائل بما في ذلك الوسائل التقليدية.

٥- نحتاج إلى مواجهة هذا الفكر بطرق غير تقليدية وغير مباشرة لمخاطبة شرائح أخرى من الشباب من خلال إنتاج درامي – مثلا- يسعى للتأثير في الشباب بطرق هادئة تؤتي ثمارها على المدى البعيد.

٦- يوصي البحث بعقد جلسات ولقاءات موسعة لشباب نشطاء على شبكات التواصل الاجتماعي من مختلف دول العالم الإسلامي ويتم خلال هذه اللقاءات طرح قضية للنقاش من القضايا التي يتبناها التنظيم ويفكر الشباب أنفسهم في القضية ويضعون حلولا عملية ينهضون هم وزملاؤهم بإنجازها.

٧- من الأهمية بمكان أن نحدد موقفنا من بعض علماء السلف ولا نترك تراثهم نهبا للجماعات المتطرفة وأخص بالذكر هنا الإمام ابن تيمية - رحمه الله - فمن الأهمية بمكان أن نعيد قراءة تراثه وشرحه للشباب وتوضيح أن ما تستند إليه بعض التنظيمات المتطرفة من آراء منسوبة لابن تيمية يتم تحريفها وانتزاعها من سياقها التاريخي والاجتماعي والسياسي الذي صدرت فيه.

٨- إتاحة مساحات أكبر أمام الشباب في عالمنا العربي للتعبير عن قضاياه السياسية والاجتماعية والقضايا العامة، بل وإشراك الشباب في دوائر صنع القرار، فالملاحظ أن التنظيم استغل ما يمكن أن نسميه «انتكاسة ثورات الربيع العربي» ليقول للشباب إن الحل ليس في «الديمقراطية» و«الحريات الزائفة»؛ إنما الحل في التنظيم من خلال المواجهة المسلحة، وإزالة «الطواغيت».

٩- نحتاج المزيد من الدراسات والأبحاث التي تغوص في أعماق هذا التنظيم وتكشف نقاط قواه ونقاط ضعفه وكيفية مواجهته على مستويات مختلفة ولا نكتفي بتبني خطاب إعلامي مفاده أن

هـؤلاء أشـرار إرهـابيون، لا تـسمعوا لهـم وفقـط، بـل يجـب أن نكـشف زيـف وخلـل وضـلال هـذه التنظيمات بدراسات علمية مقنعة.

مستقبل الإسلام في مدغشقر بين جهود المسلمين ومطامع إيران

محمد خليفة صديق(*) - خاص بالراصد

مقدمة:

جزيـرة مدغـشقر أو ملقاسـي أو ملاجـاش هـي جزيـرة في المحـيط الهنـدي في جنـوب شـرقي قـارة أفريقيـا، ولا يفـصلها عـن اليابـسة الإفريقيـة سـوى ٤٠٠ كلـم، وموقعهـا الجـزري وسـط المحـيط الهنـدي عدّل مـن أحوالها المناخيـة، وهـي خـامس أكـبر جزيـرة في العـالم مـن حيـث المـساحة، وتبلـغ مـساحتها ٦٠٠ ألـف كلـم مربـع، ويـسكنها مـا يقـارب مـن ١٢ مليـون نسمة، وهي مستعمرة برتغالية وفرنسية سابقة.

دخلـت مدغـشقر تحـت الحمايـة الفرنـسية في عـام ١٨٨٥م وأصـبحت مـستعمرة فرنـسية في عـام ١٨٩٦م وظلـت كـذلك حتـى نالـت اسـتقلالها في ٢٦ يونيـو ١٩٦٠م وأصـبحت عـضواً في هيئـة الأمـم المتحـدة وفي الكومنولـث الفرنـسي. يـشتغل ٩٠٪ مـن أهـالي مدغـشقر في الزراعـة، ومـن أهـم حاصـلاتها الزراعيـة (الفانيليـا) إذ تنـتج منهـا نـصف إنتـاج العـالم، بجانـب الأرز والـذرة والحبـوب والقهـوة والتبـغ وقـصب الـسكر والكاكـاو، وأهـم المعـادن فيهـا الأحجـار الكريمـة واليورانيـوم والفوسـفات والـذهب، وهـي غنيـة بثروتهـا مـن الماشـية ففيهـا حـوالي ١٠ ملايـين رأس من الماشية.

أطلـق علـى جزيـرة مدغـشقر اسـم ملاجـاش غـداة اسـتقلالها، وملاجـاش اسـم لأكـبر القبائـل بـالجزيرة، وكانـت البرتغـال قـد حاولـت احتلالهـا في سـنة ٩١٣هـ، ولكـن مقاومـة المـسلمين للبرتغـاليين حالـت دون دخـولهم الجزيـرة، ولكـنهم عـاودوا الكـرّة مـرة أخـرى في الـسنة التاليـة، ودمـروا معظـم مـدن الجزيـرة، وسـيطروا عليهـا، وتعاقـب عليهـا الاحـتلال، فحاولـت بريطانيـا احتلالهـا في مـستهل القـرن التاسـع عـشر، وضـمها إلى جـزر موريـشيوس، ولكـن تغلبـت فرنـسا في الـسباق، واحتلـت مدغـشقر في سـنة ١٢٨٥هـ - ١٨٦٨م، وظـل الاحـتلال الفرنـسي بهـا حتـى نالـت اسـتقلالها في (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م).

رغـم الوجـود الإسـلامي في مدغـشقر، لكـن لا توجـد إحـصائيات موثوقـة تحـدد النـسبة الحقيقيـة للمـسلمين فيهـا، ويقـدر الـبعض نـسبة المـسلمين حاليـا بحـوالي ربـع سـكان ملاجـاش، وإن كانـت بعـض المـصادر الإسـلامية تقـدرهم بـ ١٥٪، أي يزيـدون علـى المليـون نـسمة، ونـسبة المـسيحيين ٢٥٪، بينمـا عـدد الـوثنيين وأصـحاب الـديانات التقليديـة حـوالي نـصف سـكان الجزيـرة، وهنـاك مـن يقـول إن نـسبة المـسلمين إلى نـسبة عـدد الـسكان تبلـغ ١٠٪، وقـد تختلـف النـسبة مـن ولايـة إلى أخـرى ولكـن المتوسـط هـو ١٠٪. ولكـن الإحـصائيات الكنـسية تـذكر أن نـسبة المسلمين هي ٢ ٪.

سكان مدغشقر:

سـكان مدغـشقر بوجـه عـام هـم خلـيط آسـيوي أفريقـي، فالعناصـر الآسـيوية قـدمت مـن الملايـو، وإندونيـسيا والعناصـر الزنجيـة الأفريقيـة مـن زنـوج البـانتو، وقـد اختلطـوا بـالعرب في جـزر القمـر، وعرفـوا بالـسلالة القمريـة، ومـنهم قبيلـة هوفـا، وإلى جانـب العناصـر الـسابقة كـان هنـاك هجـرات عربيـة ممثلـة في قبيلـة الأنتيمـور، وتعـيش الجماعـات الأفريقيـة علـى الـسواحل، بينمـا العناصـر الآسـيوية في الوسط والجنوب.

وتنتـشر بعـض مظـاهر وعـادات الإسـلام بـين قبائـل الـساكافا أو الـصقلابة كمـا سماهـا العـرب، وهـؤلاء يـصلون الجمعـة في المـسجد والأحـد في الكنيسة ويوم الاثنين يعبدون الأشجار!

وهنـاك قبائـل الفلانـة، والأنتيمـور في جنـوب

(*) كاتب سوداني.

شـرقي الجزيـرة، وهـذه الجماعـات مـن أصول عربيـة، ولا يـزال أفـراد مـن قبيلـة الهوفـا علـى الإسـلام، وكـان مــن هــذه القبيلــة ملــوك مدغــشقر، وتعــيش هــذه الجماعـات قـرب مدينـة ماجونجـا، ولقـد دخلـت ألفـاظ عربيــة كــثيرة في لغـات مدغـشقر، نتيجــة الـصلات العربيــة القديمــة بهــذه الجزيــرة، وفي قريــة بقــرب مدينــة (ماجونغــا) أكــبر مـدن المـسلمين في مدغـشقر، أقـام الـسكان «كعبـة» يحجّـون إليهـا مـرة كـل سـنة، ويـشترطون لمــن يريــد الحــج أن يلــبس ملابــس غــير مخيطـة، ويحرصـون في حجهـم هـذا علـى الإكثـار مـن الــدعاء وذبــح ذبيحــتهم، وهنــاك جزيــرة «إبــراهيم» العربيــة المــسلمة الــتي أجــبر البرتغــاليون أهلــها علــى تغيير اسمها إلى جزيرة (القديسة ماري).

المسلمون في مدغشقر:

عنـد الحـديث عـن تـاريخ دخـول الإسـلام لمدغـشقر تختلـف الأقـوال؛ فهنـاك مـن يـرى أنـه قـديم جـدا، وقـد أقـر المفكـر جـورج أمـبروف في كتابـه «التـابو» حـول مدغــشقر، بــأن التــأثير العربــي والإســلامي في مدغـشقر أقـدمُ بمئـات الـسنين مـن التـأثير المـسيحي، ولكــن يمكــن القــول إن البدايــةَ الفعليــةَ لوصــول المـسلمين والعـرب إلى مدغـشقر، كانـت في القـرن الـ ١٣ الميلادي، عنـدما بـدأ المسلمون بزيـارة تلـك المنـاطق لغـرض التبــادل التجــاري، وقــد اشــترك البحّــارة المــسلمون مــن الخلــيج العربــي ومــن حــضرموت في الهجــرات وفي التجــارة، وعاشــوا أولاً في مــستعمرات محـددة شمـال غـرب وشمـال شـرق مدغـشقر، كمـا أقـام المـسلمون علاقـاتٍ بـين المنـاطق الـصحراوية في العــالم العربــي، ومــن بينهــا ســيناء وشــبه الجزيــرة العربيـة مـن جهـة، والمـوانئ الملاجاشـية ومـوانئ جـزر القمـر مـن جهـة أخـرى، وقـد لعبـت جـزر القمـر دورًا كبيرًا في المساعدة على تلك الهجرات.

في ســنة ١٨٢٠م وصــل إلى مدغــشقر عــدد مــن الإرســاليات التبــشيرية مـن لنـدن وراهبـات مـار يوسـف وراهبــات التبــشير بالإنجيــل ومبــشرو البروتــستانت الفرنــسيون وغيرهــم، وبــالرغم مــن هــذه الحمــلات النـصرانية التبـشيرية فلـم يـدخل في الـدين المـسيحي إلا مليــون ونــصف مليــون مــن أصــل الــسكان البــالغ عـددهم آنـذاك سبعة ملايـين، كمـا وفـد مـسلمون مـن الهنــد الــصينية كجنــود للمــستعمرين الفرنــسيين، وكــذلك العــرب المسلمون الــذين وفــدوا مــن الــيمن ومـن جـزر القمـر كـان لهـم الفـضل في انتعـاش الـروح الإســلامية مــن جديــد في مدغــشقر ولا ســيما في الجهات الشرقية والشمالية منها.

زاد ازدهــار الــدعوة الإســلامية بجزيــرة مدغــشقر عنـدما انتـشر نفـوذ مملكـة آل بوسـعيد العمانيـة في شــرقي إفريقيــا، وتــزوج الــسلطان ســعيد مــن ملكــة جزيـرة مدغـشقر، وبسط نفـوذه علـى الجزيـرة، كمـا أســهم ســكان جــزر القمــر في نــشر الإســلام في مدغـشقر، فهـاجر إلى الجـزر العديـد مـن القمـريين، وهكــذا انتقلـت الـدعوة الإسـلامية إلى مرحلـة مـن الازدهــار والتوســع، غــير أن تــشجيع البرتغــاليين للبعثـات التنـصيرية، وقتـالهم لأهـل الجزيـرة، وقربهـا مــن مــستعمرتهم الــسابقة «موزمبيــق» عــرقلا انتــشار الــدعوة الإســلامية، وســاهما في ضــرب ســياج مــن العزلة على هؤلاء المسلمين عن العالم الإسلامي.

وعنــدما ظهــرت فرنــسا كمنــافس لاســتعمار الجزيــرة، بــرزت بريطانيــا كمنــافس آخــر، غــير أن ملكـة الجزيـرة (رانـا فالونـا) اتبعـت سياسـة عدائيـة نحــو المنافــسة الاســتعمارية، واســتطاعت فرنــسا أن تحتــل الجزيــرة بعــد وفاتهــا في ســنة ١٢٦٥هـــ - ١٨٦٨م، ثــم أعلنـت فرنــسا اســتعمارها لمدغــشقر في عــام ١٨٦٩م، وشــجّعت البعثــات التنــصيرية الكاثوليكيـة، وفرضـت العزلـة علـى المسلمين، وقـد كـان للمـسلمين - البالغـة نـسبتهم مـا يقـرب مـن ٢٥٪ مــن إجمــالي الــسكان- دورٌ كــبير في الجهـاد ضـدّ الفرنـسيين، فقـاموا بعِـدّة ثـورات ضـدّ الفرنـسيين كان آخرها عام ١٩٤٨م.

نـتج عـن سياسـة العـزل والحـصار علـى مدغـشقر انقطــاع الاتــصال بــين مــسلمي مدغــشقر وإخــوانهم، ونـتج عـن هـذا الانقطـاع بعـدهم عـن جـذورهم، ومـن ثـم ضـعفت اللغـة العربيـة، وكانـت لغـة ملـوك مدغـشقر، كمــا كانــت بعــض لغــاتهم المحليــة تكتــب بــالحرف

العربي، كما ضعفت المعرفة بالإسلام نتيجة انعدام الدعاة ورجال الدين المثقفين، وساد التصوف ودخلت شوائب محلية وثنية وغيرها على الإسلام.

حاليا تنتشر المساجد في ربوع ومدن جزيرة مدغشقر، فيوجد بمدينة تاناناريف، عاصمة البلاد، مركز تابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ويوجد عدد آخر من المساجد في ميناء تاماناف، وفي مدينة ماجونجا جالية عربية كبيرة، وبها ثلاثون مسجدًا، وبها مجلس أعلى للشئون الإسلامية، ومن المدن الإسلامية ديجو، ومامنتيرانو، والمسلمون ومدغشقر في حاجة إلى تصحيح العقيدة في نفوسهم، بعد هذا الانقطاع الطويل عن العالم الإسلامي. والهيئات الإسلامية حاليًا تتمثل في هيئات إسلامية، جمعيتان منها بالعاصمة، وهناك جمعيتان في مدينة ماجينقابال، وواحدة في ماجينقا.

قبائل الأنتيمور في مدغشقر:

تنحدر قبائل الأنتيمور التي تسكن في جنوب شرقي الجزيرة من أصول عربية حجازية، ولكن لم يبقَ لها من الإسلام إلا بقايا قليلة بعد أن تحول بعضها إلى الوثنية وخليط من الديانات التقليدية الأفريقية، وتشير بعض الدراسات العلمية إلى أن أجداد قبائل الأنتيمور هاجروا من الحجاز قبل حوالي ٨٠٠ سنة، ويلاحظ وجود كلمات ذات أصول عربية إسلامية في لغتهم، فمثلا أسماء أيام الاسبوع عند قبائل الأنتيمور قريبة من أسماء أيام الأسبوع العربية فعندهم: (سابوتسي) يعني السبت، و(أهادى) يعني الأحد، و(اسنين) يعني الاثنين، و(تلاتا) يعني الثلاثاء، و(أربعا) ويعني الأربعاء، و(كميس) ويعني الخميس، و(زومعه) ويعني الجمعة، وأما أسماء الأشهر فهي أسماء البروج العربية مع بعض التحريف مثل: شهر (الحوتسي) أي الحوت، وشهر(الأذراء) أي العذراء، وشهر (الديزان) أي الميزان، وشهر(الأكربو) أي العقرب، وعندهم مئات وربما آلاف الكلمات العربية، كما أنهم يحرّمون أكل لحم الخنزير وتربيته ولا يأكلون إلا ما ذبحوه بالطريقة الشرعية المعروفة، وقد زارهم وفد يهودي من معهد في باريس لأنهم سمعوا أنهم لا يأكلون الخنزير ليتأكدوا فيما إذا كانوا يهوداً أم لا، وقد استطاعت الكنيسة عبر عشرات المدارس التي أقامتها من تنصير فئة من المثقفين المتعلمين من الأنتيمور، وهناك الكثير جدا من بقايا الإسلام في تقاليد وطقوس الأنتيمور.

يقول الشيخ عبد الرحمن السميط رحمه الله: «منذ سنوات، قادني حب الاستطلاع لزيارة قرية نائية في جنوب شرق مدغشقر اسمها (مكة)، ثم بدأتُ بحثاً علمياً موسعاً عن قبيلة الأنتيمور ذات الأصول العربية الحجازية وهي نموذج من العرب والمسلمين الضائعين في أفريقيا .. مثلهم قبيلة الغبرا في شمال كينيا والبورانا في جنوب إثيوبيا وبعض السكلافا في غرب مدغشقر والفارمبا في جنوب زيمبابوي وملايين غيرهم».

ويمضي السميط قائلا:» وشعوراً مني بعظم المسئولية تجاه الله سبحانه وتعالى فقد قررت أن أقضي أغلب وقتي .. وأنذر ما تبقى من حياتي لصالح قبيلة الأنتيمور .. وأعلم أن الطريق ليس سهلاً .. ولكني أعلم كذلك أن الحساب قد يكون عسيراً لو أنني جلست مع أهلي وأولادي ونسيت إخواني في العقيدة هنا .. ومعذرة إلى الله فقد تأخرت كثيراً .. وها أنا قد استقريت بينهم .. وبنيت بيتي هنا .. لكي أخدم الدعوة في هذه الأصقاع .. وأحمده عز وجل بأن وفقني لعمل أمور كثيرة في خدمة هذه القبيلة من بناء مساجد وكفالة أيتام ودعوة وتعليم وصحة وحفر آبار .. بما فيها إنشاء مقبرة للمسلمين حيث لا توجد واحدة هنا .. فلربما احتجت إليها يوما ما .. !

يقول أهالي قرية «مكة» عن سر هذا الاسم إنه اسم المنطقة التي هاجر أجدادهم منها، لكنهم لا يعرفون أين هي مكة .. مجرد أنها في الشمال .. كما أنهم لم يسمعوا بالسعودية ولا ببلاد العرب، ويقولون عن دينهم إنهم مسلمون بروتستانت، وقالوا إن أجدادهم أخبروهم أنهم مسلمون لكنهم لا

يعرفون الصلاة، ولا الصوم، وأن المنصّرين البروتستانت جاءوا وأخبروهم أن الإسلام والبروتستانتية شيء واحد، وأنهم علّموهم الصلاة وبنوا لهم كنيسة وأعطوهم الإنجيل.

يعتقد أفراد قبائل الأنتيمور أن جدهم الأكبر جاء من بلدة في الشمال اسمها (جدة)، وأن بقربها قرية اسمها (مكة) فيها رجل صالح يحبه أجدادهم اسمه (محمد) ﷺ، وأن جدهم الأكبر اسمه (زاعليو مكرار) أي: صاحب الفخامة علي الكرار، وأن والد «علي الكرار» اسمه محمد، ويقولون إن من أجدادهم (رابكاري) أي صاحب الفخامة أبو بكر، ومنهم (راماري) أي صاحب الفخامة عمر، ومنهم (راوسماني) أي صاحب الفخامة عثمان، وأمهم «رامينا» أي صاحبة الفخامة أمينة، وكتابهم المقدس يسمونه (السورابي) أي الكتاب الكبير، ويكتبونه بالحرف العربي القرآني، وفيه شيء من القرآن ولكن أخطاؤه كثيرة، وفيه كذلك من تاريخ الأنتيمور وأذكار متنوعة وشيء من الشعوذة والسحر، ويقع الكتاب في أكثر من عشرين جزءاً، ويكتبونه على ورق يصنعونه بأيديهم من أوراق أشجار معينة يطبخونها حتى تصبح عجينة، ثم يفرشونها ويتركونها تنشف ولا يرضون كتابة كتابهم المقدس على ورق عادي مستورد.

المطامع الإيرانية في مدغشقر:

جمعت إيران في ١٢ مايو ٢٠١٦ طلابًا من ٣٠ دولة أفريقية في مؤتمر تحت شعار «الأطروحة المهدَوية وواقع أتباع أهل البيت عليهم السلام في أفريقيا»؛ وهو ما يؤكد الإستراتيجية الجديدة لطهران تجاه أفريقيا والتي تعتمد على بناء النفوذ المدني والسياسي قبل تحويل ذلك النفوذ لقوة عسكرية تدور في فلك المصالح العليا الإيرانية. وبالرجوع للمؤتمر وأهدافه، نجد أن الجهات الرسمية الإيرانية تعتبره أكبر مشروع قومي لنشر التشيع والتعريف بمهدي الرافضة ورسالته في ثلاثين دولة أفريقية.

يعرف المتخصصون في الشأن الأفريقي أن الجانب الديني الطائفي يلعب دورًا كبيرًا في الإستراتيجية الإيرانية طويلة الأمد في أفريقيا، التي انطلقت بداية ثمانينيات القرن العشرين. ففي ظل الصراعات الدولية على خيرات القارة السمراء عملت طهران على بناء نفوذ تتفرد به عن تلك القوى المتنازعة، خاصة بدول غرب أفريقيا. ووفقًا لعدد من الباحثين في الشأن الأفريقي فإن إيران استطاعت تحقيق إنجازات نوعية في هذا المجال، وأخذت توسّع من نشاطها ومصالحها عبر بناء نظام مؤسسي شيعي أفريقي تابع للمرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية.

وهذا النشاط الإيراني المحموم، سيما في غرب وشرق إفريقيا، يأتي تتويجًا لجهود شبكة منظمة من القادة والدعاة الشيعة الموالين لإيران والعاملين على تنفيذ الخطة السابقة؛ فقد استطاعت إيران اليوم تشبيك مجالات نشاطها المتنوع، والذي يشمل النفوذ السياسي والاقتصادي، ليصل إلى بناء نفوذ اجتماعي طائفي منظم، وعسكري في شكل ميليشيات مسلحة، كما هو الشأن بالنسبة لـ «حزب الله النيجيري» الذي يتزعمه الزكزاكي.

وحول النشاط الشيعي في مدغشقر، يقول أحد الشيعة الإيرانيين: «لقد زرت مدغشقر عام ٢٠٠١م، وقد كنت من ضمن بعثة عمل لإجراء مسح على مشاريع تتعلق بالاتصالات، وقد خُصص لي سائق يتحدث الفرنسية واسمه جان، وخلال خمسة أيام قال لي بأنه يتكلم العربية (وهو يجيدها) وبأنه مسلم، وقد أسلم خلال دراسته الصحافة في القاهرة، وبعدها ذهب إلى إيران وهناك اعتنق المذهب الشيعي، أخبرني هذا الرجل عن المسلمين في مدغشقر وكيفية التغلغل الوهابي بينهم، وهو ما أصبح خطراً على الإسلام ككل».

تقول بعض الإحصائيات حول الوجود الإسلامي المنحرف في مدغشقر أن عدد الشيعة الإثنا عشرية في مدغشقر يبلغ حوالي ٦ آلاف، وطائفة البُهرة حوالي ٥ آلاف، وطائفة الإسماعيلية حوالي ٣

آلاف، أما بقية المسلمين فهم سنيّون، وهم لا شك الأكثرية التي يجب أن يتم الاعتناء بهم حتى لا تتسرب إليهم البدع والخرافات والتيارات الضالة.

يبقى أن موضوع مطامع إيران وجهدها في نشر التشيع بشرق أفريقيا محط كثير من الإشاعات التي تروّجها إيران وبعض المؤسسات التابعة لأجندتها، خصوصا ما يتعلق بعدد المتشيّعين وانتشار المذهب ومؤسساته. غير أن هذا لا ينفي الخطورة التي أخذ يكتسبها السعي الإيراني الطائفي الحثيث على النسيج الاجتماعي السني بشرق أفريقيا، حيث تركز إيران على مناطق انتشار أهل السنة، مع غياب كامل في المناطق المسيحية والوثنية. واستطاعت فعلاً إيجاد موضع قدم لها بين بعض النخب المؤثرة.

من جهة أخرى، تعمل إيران على ربط التشيّع المحلي بالسياسة الدولية لإيران وأهدافها القومية، مما يهدد شرق أفريقيا بمزيد من التوترات والحروب الداخلية، خاصة مع تنامي الصراع الدولي على أفريقيا، وقرب المنطقة من الحوثيين في اليمن.

مستقبل الإسلام في مدغشقر:

من أبرز الملاحظات على مسلمي مدغشقر سيادة الأمية والجهل بينهم، حيث لا تقوى المدارس القرآنية الإسلامية المتواضعة على الوقوف في وجه النشاط التعليمي التنصيري، الذي دعمته السلطات الاستعمارية، وأمدته بإمكانيات مادية، ونفوذ سياسي، ومن أبرز التحديات أمام الإسلام في البلاد تزايد نفوذ الحركات اليسارية التي ظهرت بالساحل الشرقي لأفريقيا، وانتقل أثرها إلى الجزيرة، وكذلك الحركات العنصرية التي بدأت تظهر في شرقي أفريقيا.

وعندما استولى اليساريون على الحكم في مدغشقر اضطهدوا المسلمين، وحدثت مذبحة سنة ١٣٩٦هـ ضد المسلمين في مدينة ماجينقا، وراح ضحيتها ٢٠٠٠ مسلم قمري، وهاجر بعدها العديد من المسلمين من مدغشقر إلى جزر القمر، وكان المنصّرون خلف هذه المذبحة.

كما يعاني المسلمون في هذه البلاد من مشكلات عديدة، وفي مقدمتها عدم معرفة أسس وأصول الدين الإسلامي الصحيح بصورة كبيرة؛ حيث أن بعض أئمة المساجد في تلك البلاد لا يحفظون سورة الفاتحة، وعلى الرغم من ذلك فإنهم يتقدمون لإمامة الناس في الصلاة، على اعتبار أنهم أفضل من غيرهم، الذين لا يحفظون أيًّا من آيات القرآن الكريم، إلى جانب ابتعاد عدد كبير من أبناء القبائل عربية الأصول عن دينهم الإسلامي، واعتناقهم أديانًا أخرى بمرور الزمن، أو صورا مشوهة من الإسلام. ويعاني المسلمون كذلك من مشكلة في التعليم؛ لعدم توافُرِ مَن يتحدث العربية والفرنسية، التي هي لغة السكان الأولى.

وتوجد حاليًا محاولاتٌ من جانب عدد من الجهات الإسلامية للاجتهاد في هذه الجوانب، إلا إن هذه الجهود تبقى محدودةً وفرديةً، وتتطلّب خططًا قويةً وواضحةَ الأهداف من المنظمات والدول مثل منظمة المؤتمر الإسلامي والدول الإسلامية بصفة عامة، وقد استطاعت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية تأسيس إذاعة إسلامية؛ تساعد مسلمي مدغشقر في معرفة أمور دينهم، والمساعدة في تطوير حياتهم، وكانت فرحة المسلمين بها عظيمة عند افتتاحها.

كما يتطلب العمل الإسلامي في مدغشقر بعض الأمور المهمة مثل الاهتمام بالتعليم الإسلامي، وإنشاء معهد أو مدرسة متقدمة لتخريج الدعاة والمدرسين، وإنشاء بعض المدارس للمرحلتين المتوسطة والثانوية في مناطق تجمّع المسلمين، والنهوض بالمدارس القرآنية، وتخصيص بعض المنح الدراسية لأبناء المسلمين الملاجاشيين في البلدان الإسلامية كما تفعل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وتوفير الكتب الإسلامية باللغة الفرنسية لعلاج غياب الكتاب الإسلامي في المناهج التعليمية، مع الاهتمام بالتعليم المهني لرفع دخول المسلمين، كما ينبغي السعي الجاد لمكافحة

الخرافات والفرق الضالة كالشيعة والبهرة، والحد من نفوذ التصوف.

المراجع:

١. الشيعة في مدغشقر، مقال بدون كاتب، موجود على الرابط:
http://www.aqaed.com/shia/world/madagascar

٢. ثروت البطاوي، المسلمون في مدغشقر.. تاريخ مشرف وواقع مرير، مقال منشور بموقع رسالة الإسلام على الرابط:
http://main.islammessage.com/newspage.aspx?id=17219

٣. رسالة من مدغشقر، منشورة على شبكة أنا المسلم للحوار الإسلامي، على الرابط:
www.muslm.org/vb/showthread.php?180604

٤. الأقلية المسلمة في ملاجاش، مقال منشور بموقع الإسلام، على الرابط:
http://www.al-islam.com/Content.aspx?pageid=1361&ContentID=3017

البابائية صورة مجهولة للتصوف الشيعي

محمد عثمانلي(*) – خاص بالراصد

تفرع عن التشيع فرق وجماعات كثيرة، والسبب الرئيس في ذلك، هو الإنحراف المتأصل في المذهب الشيعي، الذي كان سببًا رئيسًا في إنتاج أفكار ضالة ليس لها علاقة بالدين أصلًا، وفي هذا المقال نريد تبيين أنّ التشيع ضل الطريق عن الإسلام بداية، ثم جاءت جماعات أخرى تفصّدت عن هذا التشيع، فكانت ذات ضلال مضاعف، وإحدى هذه الجماعات هي البابائية.

فقبيل تأسيس الدولة العثمانية (٧٠٠هـ - ١٢٩٩م) وأثناء وجود عدة دويلات في الأناضول وما حولها كانت الدولة الأبرز آنذاك هي دولة سلاجقة الروم، وعاصمتها مدينة قونية، الولاية التركية اليوم، وكانت تلفظ أنفاسها الأخيرة، بينما كان المد المغولي يتمدد يمنة ويسرة في المنطقة، في هذه الظروف المعقدة؛ نشأت فرقة تسمّى البابائية[1] في أواسط القرن الثالث عشر الميلادي[2]، في خراسان[3]، وقد تسمّت بهذا الاسم نسبة إلى لقب زعيمها وهو «بابا»[4] أو «البابا» أو كما اشتهر عنه بـ «بابا رسول الله»، وهو «إسحاق الفرسودي التركماني المدعي للنبوة»!![5]، نعم كان يدّعي النبوة، لذلك كان لقبه «بابا إسحاق رسول الله»!!، وكان لهم زي خاص[6] وقد قلدهم فيه فيما بعد فرقة القزلباش[7] أصحاب أغطية الرأس الحمراء، التي كان لها الدور الأبرز فيما بعد في معاونة الصفويين على إثارة الفتن داخل الدولة العثمانية، وترجع هاتان الفرقتان إلى أحد أكابر الفرق الشيعية ألا وهي العلوية، ففرقة البابائية والقزلباش مشتركتان في الأصل، وهما ينتميان إلى الفرقة العلوية الأم.

لقد كان مؤسسو فرقة البابائية يحسبون على التركمان السنة قبل أن يكوّنوا هذه الجماعة، و«لكن إسلام هؤلاء التركمان لم يكن سنيًّا خالصًا، كإسلام أتراك المدن، وكان ملفقًا من التقاليد الوثنية التركية القديمة، ومن

(*) كاتب أردني من أصل تركي.

(١) هذه ليست فرقة البابية، أو البهائية التي خرجت بعدها، فهاتان فرقتان ظهرتا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، والبابائية ظهرت في منتصف القرن الثالث عشر.

(٢) s18mehmedfuadköprülütürkedebiyatında ilk mutasavvıflar

(٣) إقليم له مدلولان: الأول هو خراسان الكبيرة التي تحوي اليوم عدة بلدان هي إيران وكل الدول المحيطة بها وإلى طاجيكستان شرقًا، ولأن فرقة البابائية انتشرت ضمن إطار دولة سلاجقة الروم في الأناضول (تركيا اليوم) فيرجح بالمقصود بخراسان المعنى الثاني الأقرب من الأناضول وهو إقليم في إيران وأفغانستان ويضم مجموعة من المناطق من بلخ الأفغانية إلى مشهد الإيرانية.

(٤) لفظ بابا يكثر استخدامه في اللغة التركية لكبار السن، وإن كنا سنقول بشكل أوضح باللغة الصوفية لدى المتصوفة الأتراك، وأما العلويون الأتراك اليوم فيسمون شيوخهم بالـ «دادا»، وتعنى الأب الأكبر أو الجد، ولها ذات المدلول تقريبًا.

(٥) http://www.jwd.gov.bh/glossary

(٦) دائرة المعارف الإسلامية؛ مادة البابائية

(٧) فرقة نشأت في منتصف القرن السادس عشر، وزعيمها اسمه شاه قولى Şah Kolu والتى تعنى (يد الشاه) وأحدثت فتنة كبيرة بين المسلمين في قلب الأناضول، أثناء حكم الدولة العثمانية.

عقائـد غـلاة الـشيعة؛ لـذلك نـشأت هـذه الجماعـة المختلطـة بهـذه العقائـد]، وكـان مـشايخ هـؤلاء التركمـان وباباواتهم - كمـا كـانوا يلقبـون- يتعرضـون إلى الكـره والـبغض؛ بـسبب قيـافتهم العجيبـة وعـاداتهم المنافيـة للـشرع، وحيـاتهم المنحلـة[1]»، علـى شـاكلة فـرق البـدع الـشيعية وضـلالهم، وقـد كـان هـدفهم الثـورة علـى الدولـة الـسلجوقية، إذ «ثـار الـشيخ بابـا إسـحاق مؤسـس الطريقة البابائية الصوفية ضد السلاجقة»[2].

فـإذًا هـي طريقـة أصـحابها مـن عـوام الـسنة الـذين يـسكنون في المنـاطق البعيـدة عـن المـدن، ولم تـصلهم إمـدادات العلـوم الـشرعية مـع الفوضـى المعيـشية في المنطقـة، وكـان بهـم خلـيط مـن عقائـد الـترك القديمـة الوثنيـة، فكـانوا صـيدًا سـهلًا لـدعاة الـضلال والغلـو والتـشيع، فنـتج عـن ذلـك ظهـور شـكل مـن التـصوف الـشيعي الـذي يقـوم علـى أسـاس المريـد والـشيخ، وهـذا يـشبه إلى حـد كـبير واقـع العلويـة التركيـة القائمـة اليـوم، فلـديهم عقائـد شـيعية كإيمـانهم بـالإثني عـشر إمامًـا، ولكـنهم ليـسوا مهـتمين بـالعلوم الـتي تـدرّس بـالحوزات الـشيعية التقليديـة؛ فـالعلويون في تركيـا اليـوم يـشبهون إلى حـد كـبير فـرقتي القزلباشية والبابائيـة اللـتين تقومـان علـى مفهـوم شـيخ ومريـدين، وفكـر شـيعي، بـلا فقـه للعلـوم الـشرعية[3]، وهـذا الخلـط بـين التـصوف والتـشيع هـو كـذلك موجـود اليـوم عنـد مفتـى سـوريا أحمـد حـسون، وهـو أحـد اعـلام التـصوف، وقـد اشـتهر عنـه في أحـد خطبـه مقولتـه «سـامحك اللّٰه يـا عائشة»!![4].

يمكـن تلخـيص أهـم خـصائص هـذه الفرقـة بما يلي:

١) اعتقـادهم أن زعـيمهم هـو نـبي مـن عنـد اللّٰه، وهـو اعتقـاد صـريح يتجـاوز مبـدأ الإمامـة وهـو كفـر صريح.

٢) اخـتلاط عقائـدها بالعقائـد الوثنيـة، والضلالات الشيعية.

٣) انتفـاء أي دور للعلـم الـشرعي، وتـشترك في ذلـك مـع العلـويين والـدروز؛ وكلاهمـا منبثـق عـن التشيع.

٤) ادعـاء تلقـي الـوحي[5]، والتأويـل البـاطني للقرآن.

٥) تـسمية ثـورتهم علـى الدولـة الـسلجوقية بالجهاد، استغلالًا لهذا المصطلح.

ويـشبه حـال البابائيـة حـال الـصوفية الـصفوية الـتي أسـسها صـفي الـدين الأردبيلـي والـتي بنيـت عليهـا الدولـة الـصفوية الـشيعية، فكانـت الخرافـات الـتي أسـسها هـذا الـشيخ الـصوفي (غـير المتـشيع) جـسرًا للخرافـات الـشيعية الأكثـر ضـررًا علـى الإسـلام، فالبيئـة الـتي ذكرناهـا سـابقًا تـسببت في نـشر التـشيع في منطقـة الأناضـول وإنتـاج فرقـة البابائيـة، ولكـن الفَـرق بـين الـصفوية والعلويـة البابائيـة، هـو أن الأولى تـشيعت عـن تـصوف سـني، والثانيـة تـشيعت عـن جهالـة إلى العلويـة الـتي في أصـلها تصوف غير سني.

ولقـد كـان للبابائيـة دور سـلبي ومـؤذٍ سياسـياً في ظـل حالـة الـضعف الـسياسي للـدول الـسنّية آنـذاك، وانـشغال كـل منهـا بنفـسها، وانحـصار المنطقـة بـين مطرقـة المـد المغـولي الـذي كـان مهيمنًـا بالفـساد والقتـل في شـرق الأناضـول، وسـندان الدولـة البيزنطيـة (وعاصـمتها القـسطنطينية: اسـتانبول) في غربـه، فكانـت هـذه الجماعـات تـساهم مـع هـاتين الـدولتين في تـشتيت تركيـز الأمـة علـى أعـدائها،

(١) قيام الدولة العثمانية، محمد فؤاد كوبريلي زاده، ط ١٩٦٧، ص ١٧٠.

(٢) http://alawi12.tripod.com/dakoki.htm

(٣) مثل علم الفقه، وعلم الحديث، اللذين يخلو منهما تراث العلويين المليء بخرافات تعارض القرآن والسنة.

(٤) لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى هذا الرابط http://islamicsham.org/article/111

(٥) يشترك معهم في ذلك البابية والبهائية، والشيعة، وفرقهم الإسماعيلية، والدروز، والحشاشون، والعلوية، والنصيرية، والقزلباشية.

ورغم أن البابائية لم تكن منتمية إلى تلك الدول بالعقيدة ذاتها فقد كانت تسدي لها أجلّ الخدمات، في تفريق كلمة الدول السنّية والتي تعد من أشهرها دولة سلاجقة الروم في ذلك الوقت، فـ (كغيرها) من الفرق الباطنية؛ «كاد المسلمون في الأناضول أن ينتهوا عن بكرة أبيهم، فبينما كانوا يخوضون حربًا ضد الفناء على يد البيزنطيين، كان أتباع هذه الفرق الباطنية يقيمون المذابح الجماعية للمسلمين السنة بإتفاقٍ مع الأرمن»[1].

ومن أبشع أمثلة غدر هذه الجماعة العلوية المتصوفة بأهل السنة والجماعة أنّ السلطان السلجوقي كخسرو الثاني بن كاقيباد (ت: ١٢٤٦م) كان منشغلًا عنهم بالقتال مع البيزنطيين في منطقة الأناضول، فقام بابا إسحاق زعيم البابائية «بأمر أتباعه فثاروا في منطقتي كفرسود ومرعش[2] «Kahramanmaraş »، وكان هؤلاء الأتباع مهيئين للثورة؛ لأنهم كانوا يعلمون أنّ زعيمهم سيعلن جهاده على السلاجقة في يوم من الأيام»[3].

إنّ زعيم هذه فرقة البابائية الضالة اعتبر قتال أهل السنة والجماعة جهادًا في القديم، وهذا ما قد سمعناه في حاضرنا من السيستاني مرجع الشيعة بالعراق؛ ومرشد ثورتهم الخامنئي بالجهاد ضد المسلمين، أما خطيب إيران الكاشاني فيعلن انتصار المسلمين على الكفار في حلب بكل صفاقة ووقاحة!!

لكن الفرق الوحيد بين واقعنا وماضينا، هو أن السلطان السلجوقي استطاع قمع فتنة بابا إسحاق مدعي النبوّة، البابائي، ونحن ما زلنا نعاني من فتنتهم وعدوانهم وإجرامهم المتواصل!

وفي الختام؛ إنّه لا فرق بين البابائي «بابا إسحاق» الذي تجرّأ على مقام النبوة وادّعاها، وبين شيعة إيران اليوم، الذين يعتقدون صفات النبوة في الأئمة الإثنا عشر، ودلّسوا في اسمها وقالوا الإمامة!!، وكفّروا أهل السنة وكأن الإسلام حكرٌ عليهم، فإن أئمة الضلال كلهم يدعون إلى منهج واحد، ويقومون بنفس العمل الشنيع الذي ينتهكون به حرمات الدين، والمسلمين.

(١) Osman Turan doğu anadolu türk devletleri tarihim ,s76

(٢) وهذا دليل على موطنهم الجديد الذي انتقلوا إليه من شمال شرق إيران إلى منطقة مرعش، وهي اليوم ولاية تركية تقع في الجنوب.

(٣) قيام الدولة العثمانية، سبق ذكره، ص ٨٢.

المرأة العربية
هل كانت ضحية لدعاوى المساواة؟

فاطمة عبد الرؤوف[*]– خاص بالراصد

مضي أكثر من قرن على مشروع تحرير المرأة على الطريقة الغربية حيث اعتمد المشروع على المساواة المطلقة في التعليم كقاعدة تبني عليها المساواة المطلقة في العمل المأجور انطلاقا للمساواة الكاملة على الصعيد السياسي والقانوني والاجتماعي.

وفي حين أخفق هذا المشروع التحرري الغربي أن يحقق هدفه بالكامل، أي المساواة المطلقة، إلا انه استطاع أن يحقق الكثير من الإنجازات المرحلية يكفي في هذا الصدد أن نشير لنجاحه في أوساط النخبة كما حقق نجاحات بين أبناء الطبقة الوسطى، وأصبحت فكرة مثل تطابق المناهج الدراسية فكرة مقبولة بل قد تصل لحد البداهة بينما بقيت مسألة عمل المرأة لا تلقى نفس النجاح السابق بينما لم يحقق المشروع التحرري العلماني نجاحا يذكر على الصعيد السياسي مثلا.

في هذا المقال نحاول رصد وتقييم النتائج التي عاشها المجتمع العربي بناء على هذا المشروع الذي فرض عليه بالقوة حيث تبنته معظم الحكومات العربية.

الأنوثة والعلم

العلم والقدرة على التعلم هما خصيصة إنسانية

(*) كاتبة مصرية.

مرتبطة بجوهر وجود الإنسان ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة :٣١]، وفي هذا السياق فإن العلم حق للإنسان وواجب عليه، لا فرق في ذلك المبدأ العام بين رجل وامرأة لأن (طلب العلم فريضة على كل مسلم) رواه ابن ماجه، وما لم يشر السياق إلى تحديد جنس معين فالخطاب موجه لكل مسلم ومسلمة.

لكن الإنسان، أي إنسان، لا يحيط بجميع العلوم ولا يمكنه ذلك بل من العبث المطالبة بذلك، فأي إنسان يكون لديه تخصص أساسي وبعض التخصصات الفرعية ثم لديه بعض المعارف العامة، القيمة الحقيقية للتعليم أن يخدم أهداف الإنسان وأولويات حياته ويكسبه المهارات اللازمة لممارسة هذه الأولويات وذلك كله لا يختلف بين الرجل والمرأة، الإشكالية تكمن في طبيعة التخصص الأساسي وطبيعة الأولويات بين الرجل والمرأة هل هي متطابقة أم مغايرة؟

لو ألقينا نظرة على أوضاع المرأة العربية المسلمة منذ قرن من الزمان سنجد أن الجهل كان هو المسيطر على أوضاع النساء، بل لا يكون من المبالغة في شيء لو قلنا إن معظم المجتمع كان يرزح تحت وطأة الجهل لكن الوضع النسائي كان كارثيا حيث شاعت بعض الأحاديث المغلوطة التي أحكمت دائرة الجهل على النساء ومن ذلك الحديث الموضوع (لا تعلموهن الكتابة، ولا تسكنوهن الغرف، وعلموهن سورة النور).

على أن ذلك لا يمنع من أن النساء كن يجدن فنون الطهي والتدبير المنزلي وهي فنون مهمة وسوف أوضح ذلك فيما بعد ولكنها لا تكفي مطلقا لمنح المرأة قيمة الإنسان، بدأت الدعاوى لتعليم المرأة من منطلق خدمة وظيفتها الأساسية كزوجة وأم فلا بد من تعلم والقراءة والكتابة وبعض أصول الصحة العامة كما أوضح ذلك قاسم أمين في كتابه الشهير «تحرير المرأة».

هذه البداية التي دعا إليها الكثير من رجال الإصلاح والتي لاقت قبولا من حيث المبدأ وواجهتها معوقات في التنفيذ كما واجهتها قوة وتحكم العادات والتقاليد التي رأت في المرأة عورة لا يجب أن تخرج إلا مرتين إحداهما من بيت أبيها لبيت زوجها، ومرة من بيت زوجها إلى القبر، وهذا أمر طبيعي في مجتمع يعشش فيه الجهل حتى وإن كان بعض رجاله يجيدون القراءة والكتابة، المجتمع الضعيف المهزوم المحتل لا يمكن أن يحمل رؤية مستقيمة مستمدة من الشرع بل ينحرف بالشرع حتى يتناسب مع ما ألف من عادات وتقاليد جعلته شعبا محتلا.

إلا أن الرغبة في التحرر من الاستعمار سارت في مسارين مثّل أحدهما الاحتماء بالشريعة الحقيقية للتحرر الكامل ومثل المسار الآخر الرغبة في تقليد الدول المحتلة للسير على ما ساروا عليه ومن ضمن ذلك تقليد الحياة الاجتماعية وأفكار مساواة المرأة.

ساند الاستعمار المسار الثاني حيث أن أحد أهداف الاستعمار ليس فقط احتلال الأرض ولكن احتلال الثقافة ويكفي للتدليل على هذا استعراض جهود فرنسا بالجزائر لإحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية، المسار الثاني هو الأكثر سهولة فهو استنساخ رديء للتجربة الغربية في النهضة دون توافر الشروط الموضوعية اللازمة لذلك وهو تكريس لحالة الهزيمة الحضارية وإن بدا في شكل براق جذاب.

ويكفي للتدليل على هذا التعمق في المقارنة بين كتابي قاسم أمين «تحرير المرأة» و«المرأة الجديدة» سنجد أن الكتاب الأول «تحرير المرأة» يكثر من الاستشهاد بالقرآن والشريعة ويدعو لتعليم المرأة كي تستطيع أن تؤدي وظيفتها كزوجة وأم بشكل ملائم، بينما نجد أن كتابه الثاني «المرأة الجديدة» يكثر من الاستشهاد بسيرة الأوربيات ويدعو لتقليد نمط الحياة الأوربية الاجتماعية، وما حدث بعد قاسم أمين أن قطعت رائدات الحركة النسائية مسارات طويلة في نفس السياق، ولو رصدنا واقع المرأة في نهايات القرن العشرين حتى

وقتنا الراهن سنتوصل لهذه الحقائق.

تعليم مبتسر

تعليم المرأة في تزايد واضح فالأغلبية الساحقة من الفتيات العربيات يتعلمن في المدارس ويزيد عدد النساء اللائي يلتحقن بالجامعة عن عدد الرجال، وعلى الرغم من أن نسبة الأمية أعلى في صفوف النساء عنها في صفوف الرجال فهذا يعود للأجيال الأكبر سنا أما الأجيال الجديدة فهناك تساوٍ شبه مطلق في الالتحاق بالتعليم بل والوصول لمرحلة التعليم الجامعي.

هناك تطابق في مناهج التعليم المقدم للذكور والإناث بدءا من مرحلة ما قبل التعليم الابتدائي وحتى التعليم الجامعي، فقط تقدم بعض المناهج النوعية كالاقتصاد المنزلي والتعليم الصناعي كأنشطة لا تضاف للمجموع وبالتالي لا تمثل أي أهمية للطلاب والطالبات.

لا تتلقى الفتاة أي دراسات خاصة تعلمها مهارات إدارة المنزل وأسس التغذية السليمة ولا مناهج التعامل مع الطفل وهناك اتجاه متنامٍ، خاصة لدى الفتيات المتفوقات، لاحتقار مثل هذه الدراسات وعدم اعتبارها علما.

الكثير من الفتيات يهدفن من استكمال الدراسة الجامعية إلى الحصول على وضع اجتماعي يؤهلهن للحصول على فرصة زواج متميزة.

ترفض الكثير من الطالبات في مرحلة التعليم الثانوي والجامعي الزواج بحجة استكمال الدراسة في دائرة غير مبررة وغير منطقية. وتدل الدراسات الاجتماعية أن فترة الدراسة تشهد الكثير من فرص الزواج للطالبات والتي تقل بعد التخرج وتزداد ضعفا بمرور السنوات.

إذن نستطيع القول إنه كلما طالت عدد سنوات الدراسة قلّت فرصة الفتاة في الزواج، فنسبة الفتيات اللاتي تجاوزن الثلاثين دون زواج تصل لـ ٣٥٪، فإذا ما تزوجت لم تقدم لها دراستها ما يفيدها من مهارات لازمة فتحدث صدمة بداية الزواج ويكفي في هذا الصدد أن نذكر أنّ ٣٠٪ من حالات الطلاق تحدث في العام الأول من الزواج.

تداعيات خطيرة

إلا أن التداعيات الخطيرة على المرأة العربية تمثلت في أطروحة وجوب العمل المأجور واعتبار السيدة التي لا تعمل في عداد البطالة، فالنسويات انتقلن من اعتبار العمل حقا للمرأة لاعتباره واجبا عليها وأحد لوازم الوجود الإنساني واعتبار النساء اللاتي لا يتفقن معهن في نفس الرؤية نساء مغيبات.

وعلى الرغم من ذلك لم تنجح النسويات في إقناع الرأي العام أو الرأي النسائي بحتمية العمل المأجور وبقيت نسبة المرأة في القوى العاملة منخفضة ولا تتجاوز ٢٥٪ بينما يصل المتوسط العالمي لمشاركة المرأة في القوة العاملة ٥٠٪ على الرغم من أن أعداد المتعلمات في العالم العربي في زيادة مطردة ولا تزال النسبة الكبرى من هذه الأيدي العاملة تعمل في المجال الزراعي.

وعلى الرغم من ذلك تشير أصابع الاتهام لعمل المرأة بتسببه في عدد من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية فبينما يعاني العالم العربي من أزمة بطالة خانقة ولا يجد الشباب فرصا للتوظيف يتساءل الكثيرون إذا كانت الأولوية لتوظيف الإناث أم توظيف الذكور.

لو قيّمنا نتائج الواقع وفقا لمصلحة الإناث فالنظرة القصيرة تشير إلى أن مصلحة المرأة تتمثل في الحصول على وظيفة تدرّ عليها عائدا ماديا بينما النظرة الاستراتيجية تتمثل في أن بطالة الذكور ستجعلهم مضطرين للعزوف عن الزواج ومن ثم ترتفع نسبة العنوسة في صفوف الفتيات.

من جهة أخرى؛ تبرز مشكلات اجتماعية متعددة ناتجة من الاختلاط في العمل بدءا من العزوف عن الزواج لأن هناك إشباعا من نوع ما يتحقق من هذا الاختلاط مرورا بالمشكلات الزوجية الناجمة من الاختلاط بزميلات العمل كالسعي للزواج الثاني في أحسن الأحوال أو الانحراف وإنشاء علاقات محرمة، وهذا كله واقع اجتماعي موجود.

أيضا برزت على سطح المجتمع ظاهرة ابتزاز النساء العاملات للمشاركة في تأسيس منزل الزوجية والمساهمة الإجبارية على نفقة ومصروفات البيت، فكأن عملها أهدر حقها الطبيعي في النفقة.

العمل والكفاءة

فهل كان خروج المرأة للعمل على حساب نصيب الرجل، بمعنى أن عمل النساء ساهم في بطالة الرجال خاصة في ظل محدودية فرص العمل في بلادنا العربية؟

تُدافع الكثير من الناشطات النسويات عن عمل النساء وأنه لم يأتِ على حساب نصيب الرجال ويزعمن أن الكفاءة هي معيار العمل وأنه من غير العدل أن يحصل الرجل على الوظيفة لمجرد أنه رجل وتحرم المرأة الأكثر كفاءة لكونها أنثى فهل حقيقةً تعمل النساء لأنهن أكثر كفاءة؟

قد ينطبق هذا المعيار (الكفاءة) على الوظائف الأكثر تطورا كوظيفة التدريس في السلك الجامعي أو كالباحثين في مراكز الأبحاث مثلا، أما القاعدة الشعبية للأعمال والوظائف كعمال المصانع فصاحب العمل يبحث عن العامل الأقل تكلفة، اليد العاملة الرخيصة التي تعمل لساعات أطول والتي تثير مشكلات أقل هي المعيار الأساسي لاختيار العمالة، ونظرة للأتوبيسات التي تحمل العاملات في الصباح للمناطق الصناعية في مصر مثلا كتلك المصانع الموجودة في العاشر من رمضان وتلك الموجودة في مدينة السادس من أكتوبر سنجد عشرات الأتوبيسات التي تحمل عاملات صغيرات السن يعملن في قطاع النسيج وبعض الصناعات الغذائية ومن المعلوم أن أجر العاملة يقل بنحو الثلث عن أجر العامل ولا يتم التأمين عليهن خاصة أن الكثيرات يعملن لفترات مؤقتة حتى تستطيع جمع بعض المال اللازم لزواجها فلا يطالبن بالتأمين أصلا وتميل العاملات للقبول بعدد ساعات عمل أطول أو إضافية وهن بوجه عام أقل شغبا فلا يسعين للاعتصامات والاضرابات العمالية ونحو ذلك من وسائل الضغط العمالي.

وهناك مهن أخرى يتم فيها اختيار العنصر النسائي ليس بسبب الكفاءة ولكن بسبب الاستغلال الجنسي ليس في صورته المباشرة فحسب ولكن فيما يمكننا أن نطلق عليه التسويق بدافع جنسي كفتيات الإعلان والكثير من السكرتيرات والعاملات في المقاهي والقرى السياحية.

نستطيع القول إذن إن عمل المرأة وتوظيفها في كثير من الأحيان لا يكون معياره الكفاءة وقد يسهم فعليا في تكريس البطالة في صفوف الرجال كما يسهم في ضعف الأجور بناء على نظرية العرض والطلب ووجود أيدٍ عاملة أكثر رخصا ولا شك أن هذا يصبّ في المحصلة النهائية على قدرة الشباب على الزواج ومن ثم شيوع العنوسة في المجتمع وانتشار الأمراض الاجتماعية.

العلم والعمل

ما هو الهدف من التعليم؟ هذا السؤال الملحّ والذي يقدم كأكبر تبرير لعمل المرأة: لماذا تعلمت إن لم تستثمر تعليمها في العمل ولماذا تتحمل الدولة ميزانية تعليم الفتيات إن لم يكن هناك مردود اقتصادي يعود عليها؟ لا يمكن إنكار العلاقة الوثيقة بين دراسة علم ما ثم العمل والتخصص فيه لذلك فمن الأفضل أن تتخصص الفتاة في مجال تستطيع العمل منه إن أرادت بحيث يعود بالنفع عليها أو على مجتمعها كالقطاع التعليمي والقطاع الطبي لكن هناك بعض المجالات التي يدرس فيها العلم لأجل العلم كالفلسفة والتاريخ مثلا، فهل نحرم الفتاة حقها الطبيعي في المعرفة في أي فرع من العلوم شاءت سواء كان أدبيا أم علميا ونرهن ذلك بحتمية العمل؟!

إن هذا القول هو أكبر مصادرة للحرية الشخصية التي ينبغي أن تتمتع بها المرأة، وفتاة وصلت لدرجة راقية من التعليم لا يمكن اتهامها أبدا بأنها امرأة مستلبة عندما تقرر وبكامل إرادتها أن تتفرغ لبيتها وأسرتها وزوجها وأطفالها، لكنها تناقضات الفكر النسوي الذي تزعم أكبر مدارسه

الليبرالية، فبينما يتم وصم الإسلاميين بأنهم يحاولون ممارسة الوصاية على المرأة يقومون هم بممارسة كل صور القمع والوصاية والديماغوجية حتى يتم فرض نمط معين للحياة الاجتماعية على النساء.

العلاقات الإيرانية الأردنية: التاريخ والمآلات

د. مهند مبيضين(*) –

مركز الخليج العربي للدراسات الإيرانية ٢٠١٦/١٢/٢٤

مقدمة

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أبرز مَحطَّات العَلاقات الأُردُنيَّة- الإيرانيَّة منذ بداياتها دبلوماسيًّا عام ١٩٤٩، وكيفية تطوُّرها وإلامَ وصلت الآن، مرورًا بالأحداث الإقليميَّة في المنطقة، التي أثَّرت بشكل كبير على هذه العَلاقة، التي اتَّصفَت بالتعاون والتفاهم والشراكة قُبَيل الثَّوْرة الإيرانيَّة، وكيف انتقلت إلى العداء والقطيعة والبرود في زمن إيران الثَّوْرة.

بداية العَلاقات بين الدولتين

منذ بداياتها، شهدت العَلاقات الأُردُنيَّة- الإيرانيَّة عديدًا من التناقضات والتذبذبات في قوتها، وقد ساعد على ذلك السياساتُ الإقليميَّة والحروب المجاورة لكلا البلدين في المنطقة، وقد تباينت المواقف سياسيًّا واستراتيجيًّا، إذ يُعتبر الأُردُن ضمن محور الاعتدال بسبب معاهدة السلام مع إسرائيل، واعترافه بالسُّلْطة الفلسطينيَّة ومنظَّمة التحرير ممثِّلًا شرعيًّا للفلسطينيّين، بالإضافة إلى التحالف مع الولايات المُتَّحِدة التي تتصادم إيران معها حاليًّا، ومع الغرب بشكل عامّ، وعلى النقيض تعترف إيران بحركة حماس ممثِّلًا شرعيًّا لفلسطين، وهذا يضع إيران في محور الممانعة.

هكذا يكون للصراع الإقليمي الدور الأكبر في التأثير على التناقضات التي تتَّسم بها العَلاقات الأُردُنيَّة- الإيرانيَّة، وفي ما يلي نستعرض التطوُّر التاريخي وأبرز محطات العَلاقات الأُردُنيَّة- الإيرانيَّة.

في بداياتها في فترة ما قبل ١٩٢٥ كانت العَلاقات الأُردُنيَّة (شرقيّ الأُردُن تحديدًا)- الإيرانيَّة تقتصر على عَلاقات تجارية، بداية من الزمن العثماني حين كانت الأُردُن تخضع للسُّلْطة العثمانية، وحتى زمن الإمارة، وبقيت العَلاقات كما هي بعد سقوط الخلافة العثمانية وانتهاء حكم الأسرة القاجارية في إيران بتسلُّم الشاه رضا خان بهلوي (١٩٢٥- ١٩٤١) الحكم فيها، وسلّم الحكم بعد ذلك لابنه محمد رضا بهلوي. في أثناء حكم البهلوي أُنشئَت أول قنصلية إيرانيَّة في القدس الشريف، وكانت الاتصالات الإيرانيَّة مع المنطقة تتمّ عن طريقها، ومع الأمير عبد الله الأول في تلك الفترة حين كان أميرًا لإمارة شرقي الأُردُن[1].

في عام ١٩٤٦ وبعد أن استقلّ الأُردُن ونودي به مملكة وبالأمير عبد الله الأول ملكًا على الأُردُن، افتُتِحت القنصلية الإيرانيَّة الأولى في عمان، وتلاها افتتاح قنصلية أُردُنيَّة في طهران، إذ زار الملك عبد الله الأول إيران في ١٩٤٩، وكان لهذه الزيارة واللقاء مع البهلوي الأثر الأكبر على توطيد العَلاقة بين الدولتين، الذي تَمَثَّل في توقيع معاهدة صداقة لتعزيز التعاون وفتح فرص وآفاق جديدة لهذه العَلاقة. وقد وُقّع عديد من المعاهدات بين الدولتين، من أهمِّها اتفاقية التعاون الثقافي في ١٩٦٠، والتعاون التجاري في ١٩٦٣، والتعاون في القضايا المالية في ١٩٧٣، واتفاقية التعاون السياحي ١٩٧٥، التي لم تُنَفَّذ نتيجة لثورة ١٩٧٩[2].

في عهد الملك الراحل الحسين بن طلال أُنشئَت

(*) كاتب أردني.

(١) ذنون؛ فواز موفق، العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية ١٩٨٠- ٢٠٠٣، مجلة دراسات إقليميَّة، جامعة الموصل، العدد ٣٢، ص١٩١- ٢٢٤، ٢٠١٣.

(٢) جونسون والزويري، معضلة السياسة والأمن في العلاقات العربيَّة الإيرانية: حالة الأُردُن، مركز الدراسات الاستراتيجية- الجامعة الأُردُنيَّة، ٢٠٠٨. انظر أيضًا: ذنون؛ فواز موفق، العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية، ص٢.

السفارة الإيرانيَّة في الأُردُن، بعد زيارة الشاه محمد رضا عام ١٩٥٩ للأُردُن، وكان لقضيَّة الصراع الفلسطينيّ- الإسرائيليّ في تلك الفترة الأثر الأكبر على العَلاقات بين الأُردُن وإيران، وعلى أثر قيام الجمهورية العربيَّة المُتَّحِدة في ١٩٨٥ تَوَطَّدَت العَلاقة بين الأُردُن والعِرَاق، لكن الثَّوْرة التي قام بها عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف للإطاحة بالنِّظام الملكي العِرَاقيّ أدّت إلى انسحاب النِّظام العِرَاقيّ من الاتحاد وانهياره، مِمَّا أدَّى إلى تخلخُل العَلاقات الأُردُنيَّة- العِرَاقيَّة وبقاء الأُردُن في عزلة سياسيَّة، مِمَّا دعا الملك الحسين بن طلال إلى تعزيز العَلاقات بين الأُردُن وإيران للحفاظ على الأمن الداخلي واستقلال الأُردُن من أي اعتداء، كان هذا واضحًا في البيان المشترَك الذي أدلى به الملك الحسين في أثناء الزيارة المذكورة حين قال: «إن الأُردُن وإيران يؤكِّدان استقلال بلديهما وصيانتهما من أي تهديد خارجيّ أو تخريب داخلي»، وهذا يشير إلى أن السياسيات الإقليميَّة المجاورة لعبت دورًا في توطيد هذه العَلاقة في تلك الفترة[١].

بدا كأن العَلاقات تخلخلت بناء على السياسات الإقليميَّة آنذاك بسبب اعتراف إيران بدولة إسرائيل في ١٩٦٠/٧/٢٣، إذ أكَّد شاه إيران أن اعتراف إيران بإسرائيل لم يكُن جديدًا، بل هو تأكيد لاعتراف سابق صُرِّح به في عام ١٩٥٠، مِمَّا دعا الملك الحسين بن طلال إلى اتِّخَاذ موقف سريع وإرسال برقية إلى شاه إيران في ١٩٦٠/٧/٢٦ يحثُّه فيها على التراجع عن قرار دولته، وفي ما يلي عرض صحيفة «المنار» للخبر[٢]: «وعبَّرَت رسالة الملك الحسين بن طلال إلى شاه إيران بعد هذا الاعتراف الذي عدّه الملك الراحل صدمة للصداقة بين البلدين[٣].

وقد بدا واضحًا إصرار الشاه بهلوي على موقف بلاده وسعيه لتعزيز العَلاقة بإسرائيل في حال ازدادت الضغوط العربيَّة، إذ بدأت الدول العربيَّة بسحب السفراء من إيران، وبداية ذلك كان سحب السفير السُّعُوديّ للمشاورة، وقد صرَّح حابس المجالي رئيس الحكومة الأُردُنيَّة آنذاك مُعربًا عن أسف الأُردُن والأُردُنيين من موقف إيران تجاه إسرائيل والاعتراف بها، إلا أن هذا كله لم يؤثِّر سلبًا على عَلاقة إيران بالأُردُن بشكل كبير. وفي عام ١٩٦٥ أطلق الملك فيصل ملك السُّعُودِيَّة في حينها مشروع ما سُمِّي «الحلف الإسلامي» الذي دعمه شاه إيران لوقف ثورة جمال عبد الناصر في ذلك الوقت[٤]، وأيَّدَ الأُردُن فكرة الحلف خوفًا على الاستقرار والأمن الأُردُني بسبب تخلخل الأوضاع السياسيَّة في الدول المجاورة، وللوقوف في وجه التيَّار الثوري بقيادة جمال عبد الناصر، إلا أن المشروع بقي موقوفًا ولم يُوضَع في حيز التنفيذ بسبب حرب يونيو/حزيران ١٩٦٧، التي وقفت فيها إيران إلى جانب الأُردُن، وصرّح شاه إيران على أثر خسارة أراضيها في الضَّفَّة الغربية، بأحقِّيَّة الأُردُن في استعادة أراضيه في الضَّفَّة وضرورة الانسحاب الإسرائيليّ منها لإحلال السلام[٥].

بعد ذلك استمرت العَلاقات الأُردُنيَّة- الإيرانيَّة في مسارها كما هو، وكان لزيارة الملك الحسين بن طلال لإيران في عام ١٩٧٣ وتحديدًا في ٢٠ نوفمبر، كما أوردت الصحف، الأثر الكبير في تحسين وتعزيز العَلاقات بين البلدين، إذ رافق الملك

(١) الصرايرة؛ أروى محمد، موقف الأُردُن من الحرب العِرَاقيَّة الإيرانية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة ٢٠٠٤. انظر أيضًا، ذنون؛ فواز موفق، العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية، ص٣- ٤؛ المجالي، محمد مصلح، العلاقات الأُردُنيَّة العربيَّة، رسالة ماجستير، الجامعة الأُردُنيَّة، ٢٠٠٣.

(٢) صحيفة المنار، العدد ٣٤، تاريخ ١٩٦٠/٧/٢٤، ص١.

(٣) صحيفة المنار، عدد ٣٨، تاريخ ١٩٦٠/٧/٢٨، ص١. المنار عدد ٤٣، تاريخ ١٩٦٠/٨/٢.

(٤) محافظة؛ علي، العرب والعالم الإسلامي منظَّمة المؤتمَر الإسلامي والمؤسسات التابعة لها، نُشر في الدستور، ٢٠٠٨/٧/٢٧.

(٥) جونسون والزويري، معضلة السياسة والأمن في العلاقات العربيَّة الإيرانية: حالة الأُردُن، مركز الدراسات الاستراتيجية- الجامعة الأُردُنيَّة، ٢٠٠٨. انظر أيضًا: ذنون؛ فواز موفق، العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية ص٣- ٤. صحيفة الدستور في ١٩٦٨/٤/٣.

رئيس الحكمة الأُردُنيَّة زيد الرفاعي، وزيد بن شاكر رئيس الأركان في الجيش الأُردُني، وأسفرت الزيارة عن تزويد إيراني للأُردُن بأربع وعشرين طائرة من طراز «F5»، علمًا بأن إيران كانت حصلت عليها من الولايات المُتَّحِدة الأمريكية، وقد أخذت إيران الموافقة الأمريكية على تزويد الأُردُن بها[1].

ونشرت الصحف خبر الزيارة، وقالت إن الهدف الرئيسي للزيارة هو التنسيق مع الدول العربيَّة والإسلامية لمواجهة مرحلة العمل السياسي التي تسببت فيها حرب رمضان لاستعادة الأراضي المحتلة وحقوق الفلسطينيّين[2].

بعد مؤتمَر الرباط في أكتوبر ١٩٧٤، الذي أسفر عن الاعتراف بمنظَّمة التحرير ممثِّلًا وحيدًا شرعيًّا لفلسطين، وكثرة الحديث عن غضب الملك الحسين ورفضه توقيع الاتفاقية، نَفَت الصحف الأُردُنيَّة الخبر وأشادت بدور الحسين في نجاح المؤتمَر، ومن ذلك ما جاء في صحيفتَي «الرأي» و«الدستور» يوم ١٩٧٤/١٠/٣٠.

دعا هذا المؤتمَر الملك الحسين إلى تقوية عَلاقاته مع إيران لاستعادة النُّفُوذ الذي كان يملكه مع وصايته على فلسطين قبل الاعتراف بالمنظَّمة وإنهاء الخلاف بينها وبين الأُردُن[3].

وفي عام ١٩٧٥ زار الشاه مرة أخرى أراضي الأُردُن على خلفية أحداث ١٩٧٤ ومؤتمَر الرباط، فحلَّقَت في سماء الأُردُن طائرات «F5» التي أعطتها إيران مُسبَقًا للأُردُن في أثناء استقبال الشاه[4].

أكَّد الشاه في هذه الزيارة دعمه الكامل للأُردُن في مسيرة إحلال السلام وإعادة الأراضي الفلسطينيَّة لأصحابها، وكان لهذه الزيارة وقع كبير في تعزيز العَلاقات بين الدولتين.

(١) ذنون؛ فواز موفق، العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية ص٤، صحيفة الرأي الأُردُنيَّة في ١٩٧٣/١١/٢٠، عدد ٨٢٤.
(٢) الرأي، العدد ٨٢٥، تاريخ ١٩٧٣/١١/٢١، ص١.
(٣) الدستور، العدد ٢٦٠٨، تاريخ ١٩٧٤/١٠/٣٠، ص١.
(٤) صحيفة الرأي الأُردُنيَّة، في ٧/كانون الثاني/١٩٧٥، ص١.

بقِيَت العَلاقات على هذه الحال في أفضل أوضاعها إلى أن بدأت في عام ١٩٧٨ حركة الانقلاب لإسقاط الشاه الإيران في إيران، مِمَّا دعا الملك الحسين إلى زيارة الشاه في إيران وإعلان دعمه ومؤازرته له في نوفمبر من العام نفسه[5].

وقد جرى الحديث في بعض الدول عن أن زيارة الملك الحسين لفرنسا/باريس في شهر ديسمبر من عام ١٩٧٨ حملت بعض محاولات الإصلاح بين الثَّوْرة الشعبيَّة الإيرانيَّة والشاه الإيرانيّ، ممثَّلة في لقاء الخُمينيّ في باريس، إلا أن الأُردُن نفى تلك الأخبار مؤكِّدًا أن زيارة الملك الحسين في باريس لم يكُن بها أي لقاء مع الخُمينيّ، وهو فعلًا ما لم يُثبَت بأي وثيقة ولا خبر، ولا أحد يستطيع أن يؤكِّد أو ينفي هذا اللقاء[6].

انتهت الثَّوْرة الإيرانيَّة في ١٢ فبراير عام ١٩٧٩ بسقوط الشاه محمد رضا وقيام الجمهورية الإسلامية، وأبدي الأُردُن في بداية الأمر هدوءًا وصمتًا، إلا أن الملك الحسين أرسل برقية تهنئة للنِّظام الجديد في ذكرى الثَّوْرة معترفًا فيها بالنِّظام الإسلامي والجمهورية الإسلامية الجديدة، ومهنِّئًا بذكرى الثَّوْرة التي قاموا بها[7].

العَلاقات في زمن حَرْب الخَلِيج الأولى

في عام ١٩٨٠ عندما اندلعت الحرب الإيرانيَّة- العِراقيَّة بدأت العَلاقات الأُردُنيَّة- الإيرانيَّة في التخلخل والضعف في عدة أوقات، وقد تفاقم الأمر إلى القطيعة في بعض الأحيان. وقد قامت الحرب الإيرانيَّة- العِراقيَّة لعدة أسباب، من أهمها[8]:

– الخلاف على الحدود بين الدولتين.
– الخلاف المذهبي بين السنة والشِّيعَة.

(٥) الرأي الأُردُنيَّة، ١٩٧٨/١١/٢٦، ص١.
(٦) مجلة السياسة الدوليَّة، القاهرة، شهريات السياسة الدوليَّة، عدد ٥٤، ص٢٣٣، ١٩٧٨.
(٧) أبو طالب، حسن، على هامش الحرب: التقارب العِراق الأُردُني، مجلة السياسة الدوليَّة، القاهرة، عدد ٦٣، ص١١٤، ١/ ١٩٨١. الخبر من الرأي الأُردُنيَّة: في ١٩٧٩/٢/١٤.
(٨) الصرايرة؛ أروى محمد، موقف الأُردُن من الحرب العِراقيَّة الإيرانية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة ٢٠٠٤.

- أحقِّيَّة السيطرة والنُّفُوذ على الخَلِيج بعد الانسحاب البريطاني.

- الأقلِّيَّات، خصوصًا الأكراد.

- مطالبة العِرَاق بالاعتراف بالسيادة العِرَاقيَّة على أراضيها ومياه الأنهار العِرَاقيَّة، وإنهاء الاحتلال الإيرانيّ للجزر الواقعة قرب مضيق هرمز (طنب الصغرى، وطنب الكبرى، وجزيرة أبو موسى).

من العوامل التي أدَّت إلى التقارب الكبير بين العِرَاق والأُردُن - وهو الأمر الذي ألقى بالعَلاقات الأُردُنيَّة- الإيرانيَّة إلى الحضيض- اتِّهام العِرَاق لسوريا بالتخطيط لتنفيذ انقلاب في بغداد على نظام الحكم، في الوقت الذي تَوَتَّرَت فيه العلاقات الأُردُنيَّة- السوريَّة لاتِّهام سوريا للأُردُن بدعم الإخوان المسلمين في سوريا[1]. وفي وقت لاحق من عام ١٩٧٨ رفض الأُردُن معاهدة السلام بين إسرائيل ومصر في كامب ديفيد، الأمر الذي عزَّز مكانة الأُردُن لدى العِرَاق الرافض أبدًا لأي سلام مع إسرائيل[2].

ومن أهمّ دوافع دعم الأُردُن للعراق في حربه ضدّ إيران، أن الأُردُن رأى في تلك الحرب حائلًا دون تصدير الثَّوْرة الإيرانيَّة إلى المنطقة، وبالذات لحلّ الصراع العربيّ- الإسرائيليّ، والفلسطينيّ تحديدًا، إذ دعمت الجمهورية الإيرانيَّة الإسلامية فصائل المقاومة مثل حزب الله في جنوب لبنان، وحركة حماس في فلسطين، الأمر الذي يُلغِي دور الأُردُن سياسيًّا في هذه القضيَّة، كما أن موقف سوريا المؤيِّد لإيران في حربها على العِرَاق زاد من تَخَوُّف الأُردُن من فرض نفوذ وسيطرة إيران على المنطقة كلها لا على العِرَاق فحسب إن نجحت في حربها على العِرَاق، إذ نَدّدَت سوريا بهجوم العِرَاق على إيران وسمَّته إلهاءً مُدَبَّرًا من العِرَاق للأمة الإسلامية عن حربها مع إسرائيل، وأشارت سوريا إلى أن الصراع العِرَاقيّ- الإيرانيّ لا يتعدَّى كونه صراعًا على الحدود، في حين يُعتبر الصراع العربيّ- الإسرائيليّ صراع بقاء. وبات الأُردُن في خِضَمِّ هذه الفوضى بين أكبر خطرين: الإسرائيليّ والإيرانيّ، مِمَّا أدَّى إلى وقوفه إلى جانب العِرَاق ليضمن حدوده وسلامة أرضه من أي هيمنة، وفي الوقت ذاته يبقى موقفه قويًّا تجاه الكيان الإسرائيليّ، لأن العِرَاق يُعَدّ الدعم الأقوى لموقف الأُردُن ضدّ إسرائيل بعد خروج مصر من الصراع العربيّ- الإسرائيليّ بتوقيع معاهدة السلام في كامب ديفيد ١٩٧٨[3].

وكانت إيران قد بدأت الحرب بعدة أحداث متفرقة حيث قامت بعدة انتهاكات بعد عام ١٩٨٠ وأساءت إلى القنصلية العِرَاقيَّة في أرضها وأخذت تهاجم العِرَاق في خطب الجمعة، وتبثها عبر الإذاعة مِمَّا أدَّى إلى تفاقم الامور وزيادتها سوءًا. ولا يخفى على القارئ للأحداث في هذه الحرب عمق الخسائر والهجمات وكمية الأسلحة المستخدمة في تلك الحرب[4].

وقد اتخذ الأُردُن موقفًا واضحًا في هذه الحرب انحاز فيه لجانب العِرَاق في أكثر من محفل، وتعددت وسائل التعبير عن الدعم والتأييد للعراق في حربها مع إيران، فالملك الراحل الحسين بن طلال لم يدّخر جهدًا، من مراسلات وزيارات واتصالات ودور في المؤتمَرات، ليعبِّر عن تأييد الأُردُن للعراق كُلَّما تَسَنَّى له ذلك، وأدَّى موقف الأُردُن إلى إعلان إيران قطع عَلاقتها تمامًا مع الأُردُن في

(١) سلمى عدنان وآخرون، موقف الدول العربيَّة من الحرب العِرَاقيَّة الإيرانية، مجلة آداب ذي قار، عدد ٣، ص١٨٢، ٢٠١١.

(٢) ذنون؛ فواز موفق، العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية ١٩٨٠- ٢٠٠٣، مجلة دراسات إقليميَّة، جامعة الموصل، العدد ٣٢، ص١٩١- ٢٢٤، ٢٠١٣.

(٣) سلمى عدنان وآخرون، موقف الدول العربيَّة من الحرب العِرَاقيَّة الإيرانية، مجلة آداب ذي قار، عدد٣؛ انظر أيضًا: الصرايرة؛ أروى محمد، موقف الأُردُن من الحرب العِرَاقيَّة الإيرانية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة ٢٠٠٤.

(٤) الصرايرة؛ أروى محمد، موقف الأُردُن من الحرب العِرَاقيَّة الإيرانية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة ٢٠٠٤. ذنون؛ فواز موفق، العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية، ص٧.

١٩٨١/١/٣١[١]. وفي عام ١٩٨٢ زار الملك الحسين العِرَاق وأجرى مباحثات مع الرئيس العِرَاقيّ صَدَّام حُسَين[٢]، وأسفرت هذه الزيارة عن عِدَّة أمور اتفق عليها العاهلان، من أهمها فتح باب الجهاد والتطوُّع للقتال في الجانب العِرَاقيّ في الأُردُن، ومن ذلك أنه قد فُتِحَت ١٥ مركزًا للتطوُّع في عمان، بما أُطلِقَ عليه لاحقًا «قوات اليرموك» الأُردُنيَّة التي بلغت ما يقارب ٢٥٠٠ متطوع بقيادة الشيخ عطا شهوان[٣].

بذل الملك الحسين مجهودًا كبيرًا في دعم العِرَاق، واتَّخَذ الدعم شكلًا اقتصاديًّا أيضًا تَمثَّل في إتاحة ميناء العقبة للتجارة العِرَاقيَّة بالاستيراد والتصدير، إضافةً إلى فتح المجال الجوي الأُردُني للطائرات العِرَاقيَّة لنقل الإمدادات العسكريَّة[٤]، وعلى النقيض فقد أتاحت سوريا لإيران مجالها الأرضي والجوّي لعبور ما يقارب ١٥٠٠ جندي إيرانيّ إلى لبنان بعد اجتياح جنوبها عام ١٩٨٢ للدفاع عنها بوجه العدوان الإسرائيليّ، كما أتاحت مطارات سوريا القريبة من الحدود العِرَاقيَّة للطائرات الإيرانيَّة لشَنّ هجمات جَوِّيَّة على القواعد العِرَاقيَّة[٥]، وبالنسبة إلى الموقف الأُردُني لم يكتفِ الحسين بالدعم الذي أشرنا إليه للعراق، بل تَحدَّث عن طبيعة الصراع في عديد من المؤتمَرات والزيارات، وأشار فيها إلى دعمه بلدًا وشعبًا وحكومةً للعراقيّين ضدّ إيران، وتذكر المصادر كلمة الملك الحسين في أثناء زيارة المستشار الألماني للأُردُن في ١٩٨٣/١٠/٥، فقد تَطرَّق الملك إلى الحرب العِرَاقيَّة- الإيرانيَّة معتبرًا أن الحرب

فُرضت على العِرَاق الذي تَعرَّض لعدوان إيرانيّ[٦].

وفي كلمة أخرى له قال الملك الراحل الحسين في حفل العشاء الذي أقامه جلالته تكريمًا للرئيس الباكستاني محمد ضياء الحقّ بتاريخ ١٩٨٧/١٠/٤، لم يتوانَ الحسين عن ذِكْر الحرب العِرَاقيَّة- الإيرانيَّة وطلب التدخُّل لإنهائها.

وفي كلمة ألقاها الحسين في الحفل التكريمي الذي أقامه لفخامة رئيس وزراء الهند السيد راجيف غاندي في ١٩٨٨/٧/١١، أكَّد أبسط ما يدعو إليه غاندي وهو إحلال السلام وتقليل الخسائر في الأرواح.

يوم ١٩٨٧/٧/١ زار الرئيس النمساوي فالدهايم الأُردُن بناءً على دعوة من الملك الحسين، وفي زيارته لعمان عرض الملك الحسين عليه قضيَّة الحرب العِرَاقيَّة- الإيرانيَّة، وقال: «إن منطقتنا مُبتَلَاة بمشكلة أخرى متفجرة متمثلة في الحرب الطاغية التي تدور رحاها منذ نحو سبع سنوات بين العِرَاق وإيران، وعلى الرغم من القرارات كافَّةً الملازمة الصادرة من مجلس الأمن بهذا الشأن وجميع الجهود التي بذلتها الدول الإسلامية ومجموعة دول عدم الانحياز ومنظَّمة الأُمَم المُتَّحِدة واستجابة العِرَاق لكل مسعًى يهدف إلى وقف القتال، فإن إيران ما زالت مُصِرَّة على مواجهة هذه الحرب المدمِّرة التي أصبحت تهدِّد أمن المنطقة برُمَّتها وسلام العالَم بأجمعه، بل إن إيران تسعى لتوسيع نطاق الحَرْب الخَلِيجية».

وقد أكَّد الملك الراحل الحسين بن طلال أن هذه الحرب يجب أن تَلقَى حدًّا لِمَا تسببه من خسائر مادية وبشرية وخلخلة للأمن في المنطقة، كما تَطرَّق الملك إلى هذه الحرب في عديد من مراسلاته مع عديد من الجهات العربيَّة والدوليَّة.

وفي عام ١٩٨٤، في ١٤ من شهر مارس/آذار، عُقِد مؤتمَر وزراء الخارجيَّة العرب في بغداد، لمناقشة الحرب العِرَاقيَّة- الإيرانيَّة، ووضع حدّ لها،

(١) الصرايرة؛ أروى محمد، موقف الأُردُن من الحرب العِرَاقيَّة الإيرانية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة ٢٠٠٤.

(٢) جريدة الرأي في ١٩٨٢/١/١٧.

(٣) سلمى عدنان وآخرون، موقف الدول العربيَّة من الحرب العِرَاقيَّة الإيرانية، مجلة آداب ذي قار، عدد ٣، ص١٨٢؛ ذنون، فواز موفق، العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية، ص٨.

(٤) سلمى عدنان وآخرون، موقف الدول العربيَّة من الحرب العِرَاقيَّة الإيرانية، مجلة آداب ذي قار، عدد ٣.

(٥) الصرايرة؛ أروى محمد، موقف الأُردُن من الحرب العِرَاقيَّة الأُردُنيَّة، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٤.

(٦) جريدة الرأي، ١٩٨٣/١٠/٦.

وانبثق عنه عدة قرارات، وهو ما ذكرته الصحف كما يلي في اليوم الذي يليه[1]: «دعا هذه المؤتمر إلى وقف إطلاق النار والالتزام والاستجابة لقرارات السلام الدوليَّة، كما دعا إيران إلى احترام عَلاقتها مع الدول العربيَّة، واعتبر أي هجوم على أي قُطْر عربيّ هجومًا على الأقطار العربيَّة كافة كما جاء في قرارات قمَّة فاس ١٩٨٢».

في الفترة من ١٩٨٥/٨/٢٠ إلى ١٩٨٦/١٠/٢٨، تمَّت بين إيران والولايات المُتَّحِدة صفقة سُمِّيَت بـ«إيران غيت» أو «إيران كونترا»، سلّح فيها المليادير السُّعُودِيّ عدنان خاشنقي إيران بنحو ٣٠٠٠ صاروخ «تاو» مضادّ للدروع وصواريخ «هوك» أرض- جَوّ مضادَّة للطائرات مقابل إطلاق سراح خمسة أسرى أمريكان في لبنان. أدَّت هذه الفضيحة - كما وصفتها وسائل الإعلام- إلى هجوم إعلامي كبير على إيران، وإلى طرح كثير من التساؤلات حول مصير الحرب العِرَاقيَّة- الإيرانيَّة، وقد أدان الأُردُن هذه الصفقة واعتبرها «فضيحة إيرانيَّة»، وعبَّر الملك عنها بشجبه الصفقة، مؤكّدًا أن الولايات المُتَّحِدة فقدت مصداقيتها في الشرق الأوسط وأن آخر ما كان يتوقَّعه هو أن تعزِّز الإدارة الأمريكية قوة إيران بهذا الشكل في المنطقة[2].

العَلاقات بعد انتهاء الحرب ١٩٨٨

وَفْقًا لقرار مجلس الأمن الدولي والوثيقة رقم S/RES/٥٩٨/١٩٨٧ من وثائق الأُمَم المُتَّحِدة المتاحة عبر موقعهم الإلكتروني لقرارات مجلس الأمن، فقد اجتُمع بمندوب دولة العِرَاق دون أن يحق له التصويت في الجلسة، واتُّخذ القرار رقم ٥٩٨[3]، وفي ٢٠ أغسطس/آب ١٩٨٨، أجرى الحسين اتصالًا مع الرئيس صَدَّام حُسَين يهنئه فيه بوقف إطلاق النار وبدء مباحثات إنهاء الحرب[4].

المشكلة الآن أصبحت كالتالي: إن وقوف الأُردُن بهذا الشكل القويّ مع العِرَاق ضدّ إيران في الحرب أدَّى إلى استنكار إيران لهذا التصرُّف وقطع العَلاقات الإيرانيَّة مع الأُردُن، كما أن بعض التقارير الإسرائيليَّة أشار إلى وجود دعم عسكريّ للأُردُن في حرب العِرَاق، طبعًا لصالح الجانب العِرَاقيّ، إلا أن إيران لم تستطِع إثبات تَوَرُّط الأُردُن فعليًّا من الناحية العسكريَّة ضدّها في الحرب، وبناءً على ذلك لم توجِّه إيران أي تهديد إلى الأُردُن كما فعلت مع دول الخَلِيج، كما أن المسؤولين في العِرَاق والأُردُن طالَمَا أثنَوْا على الوقوف جنبًا إلى جنب في هذه الحرب، إلا أنهم نفوا أي وجود لمساعدة عسكريَّة من القوات الأُردُنيَّة على أرض العِرَاق، كما أن المحللين السياسيِّين يشيرون في هذا الصدد إلى أن حنكة الملك الحسين أكبر وأعظم من أن يؤدِّي بلاده إلى الهلاك، إذ كان الملك الراحل يُدرِك تمامًا في ذلك الوقت أن القوة العسكريَّة لإيران كانت أقوى من القوة العسكريَّة للأُردُن، وكان من الممكن أن تقوم حرب وتدخُّل إيرانيّ على أراضي الأُردُن إن ثبت أيُّ تَوَرُّط له في الحرب العِرَاقيَّة- الإيرانيَّة، ناهيك بوقوفه بجانب العِرَاق إعلاميًّا، مِمَّا أعطى الأُردُن فرصةً لإعادة العَلاقات مع إيران لاحقًا.

العَلاقات بعد حَرْب الخَلِيج الثانية ١٩٩٠

بعد وفاة الخُميني ١٩٨٩ تَسلَّم الرئيس هاشمي رفسنجاني الحكم في إيران، وبدأت السياسة الخارجيَّة لإيران بالتغيُّر عن طريق توطيد العَلاقات الخارجيَّة مع عديد من الدول وتجاوُز ما مضى، وانتهاء فكرة تصدير الثَّوْرة، مِمَّا حدا بالأُردُن إلى أن يبادر إلى إعادة العَلاقات الأُردُنيَّة- الإيرانيَّة، فكان لحَرْب الخَلِيج بين العِرَاق والكُوَيْت وَقْع

---

(١) جريدة الرأي ١٩٨٤/٣/١٥.

(٢) فليح؛ حسين علي، أثر السياسة الأمريكية في الحرب العِرَاقيَّة- الإيرانية، مجلة السياسة والدوليَّة، كلية العلوم السياسة، الجامعة المستنصرية، عدد ٢٠، ص٢١٣، ٢٠١٢.

(٣) وثائق الأُمَم المُتَّحِدة، قرار مجلس الأمن الدولي ١٩٨٧، الوثيقة رقم (S/RES/٥٩٨/١٩٨٧)، المتاحة عبر موقعهم الإلكتروني.

(٤) جريدة الرأي الأُردُنيَّة، في ١٩٨٨/٨/٢٠، ص١.

كبير في إعادة العَلاقات الإيرانيَّة- الأُردُنيَّة، إذ تواصل مندوب الأُردُن في الأُمَم المُتَّحِدة آنذاك مروان القاسم، مع الجانب الإيرانيّ لإيجاد موقف مشترَك للدولتين بالنسبة إلى حَرْب الخَلِيج[1]، وقد أغلق الأُردُن مكاتب «مجاهدي خلق» المعارضين لإيران، وأنهى أي امتيازات وتسهيلات أُعطِيَت لهم. وكانت زيارة وزير الخارجيَّة الأُردُني طاهر المصري لإيران في ١٩٩١/١/٢، استكمالًا لِمَا بدأ من عمل عن طريق مندوب الأُردُن في الأُمَم المُتَّحِدة سابقًا، لإعادة العَلاقات واتِّخَاذ موقف واحد بشأن حَرْب الخَلِيج[2]، فأعادت هذه الزيارة العَلاقة بين الدولتين وبدأت بإشادة إيران بالجهود الأُردُنيَّة التي تحاول الوصول إلى حلّ سلمي بشأن الصراع بين الكُوَيْت والعِرَاق.

في ١٩٩١/١٢/٩، انعقد المؤتمَر الإسلامي السادس في السنغال/داكار، حيث التقى الملك الأُردُني الحسين بن طلال مع رئيس إيران آنذاك هاشمي رفسنجاني، فأعاد هذا اللقاء الثقة في عَلاقات الدولتين وتوطيد أواصر التعاون والتبادل الثقافي والاقتصادي[3].

في العام ذاته عادت العَلاقات إلى التوتُّر بسبب اكتشاف الأُردُن تنظيمًا يُسَمَّى «جيش محمد» ألقت القوات الأُردُنيَّة القبض على عديد من أعضائه وسجنتهم بتُهَم عديدة، مثل إحراق مكتبة المركز الثقافي الفرنسي، وإطلاق بعضهم النار على واجهة بنك بريطاني، وتفجير سيارتين لضابط في المخابرات العامَّة ولرجل مسيحي... وقد اعترف عديد منهم بأن التنظيم يتلقَّى دعمًا من إيران. إلا أن حسن روحاني زار الأُردُن لينفي دور إيران في دعم هذه الجماعة، وليؤكِّد دعم إيران للأُردُن وحرصها على الأمن الداخلي فيه وعدم التدخُّل في شؤونه الداخلية. وقد أُطلِق سراح المسجونين من هذه الجماعة بعفو عامّ في ١٩٩٢[4].

وفي نفس العام ١٩٩٢ عاد التوتُّر من جديد على أثر اكتشاف مخازن للأسلحة في الأُردُن، في ما وصفته الأُردُن بـ«محاولة انقلاب على الحكم»، ووصفته حركة «حماس» بأنه «محاولة لنقل أسلحة إلى الضفَّة الغربية والمقاومة»، وقد كانت هذه الأسلحة من دعم إيرانيّ لحركة «حماس»[5].

وقد شهد عام ١٩٩٤ تراجعًا وتدهورًا حادًّا في العَلاقات الأُردُنيَّة- الإيرانيَّة، بسبب توقيع معاهدة وادي عربة التي انتقدت إيران الأُردُن على أثرها انتقادات واسعة، وفي الوقت ذاته طرد الأُردُن السفير الإيرانيّ في ذلك الوقت أحمد داستمالجان، ومعه ٢١ دبلوماسيًّا إيرانيًّا، بتهمة إنشاء منظَّمة أو خليَّة إرهابيَّة لمقاتلي حزب الله و«حماس» في الأُردُن. وجاء ردّ إيران في عام ١٩٩٦ باتِّهام الأُردُن بإيواء أفراد من المعارضين لها من «مجاهدي خلق»، وطالبت بطردهم من أجل الإبقاء على العَلاقات بين الدولتين[6].

كانت أحداث عام ١٩٩٤ هي السبب الأكبر الذي يُبقِي على تَوَتُّر العَلاقات بين الدولتين، وأهَمُّها توقيع معاهدة وادي عربة، إذ نظر كل من الأُردُن وإيران إلى إسرائيل بشكل مختلف، فالأُردُن كان هدفه الأول والأهَمّ الحفاظ على البنية الداخلية والأمن الداخلي للبلد، فوجد في توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل الطريقة الوحيدة لإبقاء السلام والأمن الداخلي بالذات مع عدد السُّكَّان الكبير ذوي الأصل الفلسطينيّ، وسُكَّان المخيمات الفلسطينيَّة على أرض الأُردُن، الذين كان لهم الأثر الأكبر في دفع الأُردُن إلى توقيع المعاهدة، للحدّ من التوتُّرات والتقليل من فرص أي توتُّر في أرضها،

(١) القرعان؛ صالح أحمد، الموقف الأُردُني من أزمة الخَلِيج، رسالة ماجستير، الجامعة الأُردُنيَّة، ١٩٩٣.

(٢) تقرير الجزيرة. نت، تقرير «العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية، محطات من التوتُّر والحذر» نشر في ٢٠١٦/٤/١٩.

(٣) جريدة الرأي الأُردُنيَّة، في ١٩٩٢/١٢/٩.

(٤) عبد الناصر؛ وليد، إيران: دراسة عن الثَّوْرة والدولة ص٨٦- ٨٧، دار الشروق، بيروت، ١٩٩٧.

(٥) المصدر السابق.

(٦) Will Fulton, Ariel Farrar-Wellman, Robert Frasco, "Jordan-Iran Foreign Relations", 2011. http://www.irantracker.org

كمـا أن الحـصول علـى مـساعدات لتغطيـة حاجـة هـؤلاء مـن الغـرب والأُمَـم الـمُتَّحِدة كـان مـشروطًا بالـسلام مـع إسـرائيل، حتـى لا يعـادي الأُردُن الغـرب ويـصبح في معـزل عـن أيّ دعـم هـو بحاجـة إليـه[1]، مـن ناحيـة أخـرى لم تـرَ إيـران في إسـرائيل الا عـدوًّا يجـب إنهـاء وجـوده، ولم تكُـن إيـران في يـوم مـا بلـدًا حـوى لاجـئين أو مهجّـرين، إلا أن المـوارد فيهـا أكثـر مـن مـوارد الأُردُن الـتي تفـي بالكـاد احتياجـات الساكنين على أرضه.

مـن هنـا بـرز الاخـتلاف، وكـان لكـل دولـة وجهـة نظر في قضيَّة الصراع الإسرائيليّ- الفلسطينيّ.

في عـام ١٩٩٧، حـين تـولَّى محمـد خـاتمي الحكـم في إيـران، تَحـسَّنَت العَلاقـات بـين الـدولتين وشـهِدَت كـثيرًا مـن الزيـارات المتبادَلـة مـن شخـصيات دبلوماسـيَّة وسياسـيَّة مرموقـة في الـدولتين، منهـا زيـارة الملكـة رانيـا العبـد اللّه في عـام ٢٠٠٠، الـتي التقـت فيهـا عديـدًا مـن النـساء اللاتـي شـغلن مناصـب عديـدة في الدولـة، مـنهن معـصومة ابتكـار الـتي تـرأس منظَّمـة حمايـة البيئـة، ومستـشارة الـرئيس لـشؤون المرأة زهرة شوجاي[2].

العَلاقات زمن الملك عبد الله الثاني

في قِمَّـة الألفيَّـة للأمـم الـمُتَّحِدة الـتي عُقِـدت في نيويـورك في ٦- ٢٠٠٠/٩/٨، التقـى عبـد اللّه الثـاني ملـك الأُردُن للمـرة الأولى الـرئيس الإيرانـيّ محمـد خـاتمي، في لقـاء كـان مفـاده ضـرورة توطيـد العَلاقـات بـين الـدولتين، وبـدعوة وجههـا العاهـل الأُردُنـي للـرئيس الإيرانـيّ لزيـارة الأُردُن في الوقـت الذي يختاره الأخير[3].

لكـن العَلاقـات عـادت إلى التـوتُّر والتراجُـع علـى أثـر اعتقـال الـسُّلُطات الأُردُنيَّـة أربعـة فلـسطينيِّين مِمَّـن عـادوا للتَّـوِّ مـن إيـران وبحـوزتهم مبـالغ ماليـة ضـخمة، يُعتقـد أنهـا كانـت لتجهيـز خلايـا لتنفيـذ عمليـات ضـدّ إسـرائيل، وخـلال سـتة أشـهر تَلَـت هـذه الحادثـة اكتـشفت الـسُّلُطات الأُردُنيَّـة ١٦ مجموعـة مماثلـة، واعتُقِـل ٨٣ أُردُنيًّـا مِمَّـن تَلَقَّـوا تـدريبًا في إيـران، وهـو مـا دفـع الملـك عبـد اللّه الثـاني إلى الإعـراب عـن قلقـه مـن الغايـات الإيرانيَّـة ومـا ترمـي إليـه، خوفًـا مـن أن يـصبح الأُردُن قاعـدة لهـا لتنفيـذ عمليـات ضـدّ إسـرائيل، وهـو مـا يـضع الأُردُن في خَـطّ المواجهـة المباشـرة مـع إسـرائيل إن حـدث ذلـك، وقـد وصـف الملـك عبـد اللّه في تـصريح لـه هـذه المحـاولات بأنهـا تُثبِـت أن إيـران باتـت تـشكِّل خطـرًا علـى المنطقـة، الأمـر الـذي دعـا إيـران إلى الـردّ بعنـف علـى هـذا الكـلام، عـن طريـق وزيـر الـدفاع الإيرانـيّ شمخـاني الـذي قـال إن «تـصريحات الملـك عبـد اللّه الثـاني تـنمّ عن قِلَّة خبرته السياسيَّة»[4].

وفي نـوفمبر ٢٠٠١ لم يبـقَ أمـام الملـك عبـد اللّه سـوى طـرح هـذه القـضيَّة مباشـرة مـع الـرئيس الإيرانـيّ خـاتمي، في مكالمـة هاتفيـة، وبعـد شـهر جـاء ردّ خـاتمي بأنـه بالفعـل اتُّخِـذَت خطـوات مؤسـفة في قـضيَّة هـذه الجماعـات، إلا أنـه نفـى أي عَلاقـة لحكومتـه بالموضـوع، مِمَّـا أثـار غـضب الملـك الأُردُنـي، فنـاقش خـاتمي الموضـوع مـع المجلس الأعلـى للـدفاع الـوطني في إيـران، لاتِّخَـاذ موقـف يُلغِـي أي مخـاوف لـلأُردُن. وبنـاءً علـى هـذه الأحـداث التقـى الملـك مـع جـورج بـوش رئـيس الولايـات الـمُتَّحِدة آنـذاك، وقـد اتفـق الطرفـان علـى أن المتـشددين في الحكـم الإيرانـيّ يعملـون علـى تـأجيج الـصراع الفلـسطينيّ- الإسـرائيليّ عـن طريـق إيجـاد خليـتين، إحـداهما حـزب اللّه في لبنـان، والأخـرى في الأُردُن، ضـمن هـذه التنظيمـات والجماعـات المـسلَّحة مـن إيـران، مِمَّـا دعـا صـحيفة «جمهـوري إسـلامي» التابعـة لخـامنئي إلى توجيـه اتِّهـام

(١) المجالي، محمد مصلح، العلاقات الأُردُنيَّة العربيَّة، رسالة ماجستير، الجامعة الأُردُنيَّة، ٢٠٠٣.

(٢) جريدة الحياة، نشر في ٢٠٠٠/٧/٤، العدد ١٣٦٢٨، الصفحة ٣. انظر أيضًا وكالة الأنباء الكُوَيْتية في ٢٠٠٠/٧/٣ حيث نشر الخبر تحت عنوان « عقيلة العاهل الأُردُني تصل إيران في أول زيارة لملكة منذ الثَّورة الإسلامية.

(٣) جريدة الدستور الأُردُنيَّة، ٢٠٠٠/٩/٤.

(٤) ذنون؛ فواز موفق، العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية ١٩٨٠- ٢٠٠٣، مجلة دراسات إقليميَّة، جامعة الموصل، العدد ٣٢، ٢٠١٣.

إلى الأُردُن بقلب موقف الولايات المُتَّحِدة ضدّ إيران. ومع هذا فإن المؤشرات السياسيَّة والتحليل لهذا المواقف تدلّ على أن الدولتين تحاولان الإبقاء على الخلاف بينهما ضمن الحدود التي يمكن تداركها.

موقف أمريكا والأُردُن السابق دعا إيران إلى تبليغ الأُردُن عن طريق استدعاء السفير الأُردُني[1] وإعلامه، باحتجاج إيران على تأييد الملك عبد الله الثاني لاتِّهامات الرئيس جورج بوش التي وجَّهَها إلى إيران، وتَحدَّث عن دول «محور الشر» إذ ربط بين العِراَق وإيران وكوريا الشمالية، وأدان امتلاك هذه الأنظمة أسلحة دمار شامل، وقد أذاعت الإذاعة الإيرانيَّة في فبراير/شباط ٢٠٠٢، انتقاد حكومتها لتأييد الملك عبد الله الثاني هذا الخطاب[2].

شهدت الفترة ٢٠٠٠- ٢٠٠٢ عديدًا من المواقف التي أخلَّت في العَلاقات بين البلدين، فبالإضافة إلى ما ذُكر أعلاه، اتَّهم السفير الأُردُني في طهران، إيرانَ باختراق أرض بلاده والإخلال بأمنها، وكان هذا أول انتقاد حادّ يُوجَّه إلى إيران بعد تَوَلِّي الملك عبد الله الثاني سُلُطاته الدستورية، وقد استدعى الأُردُن سفيره بسام العموش دون التصريح بأسباب ذلك.

وأشارت صحيفة «الشرق الأوسط» في عددها ٨٥٩٣ بتاريخ ٢٠٠٢/٦/٨، إلى أن إيران استضافت لقاء المجموعات والفصائل الفلسطينيَّة على أرضها، برئاسة المرشد الإيرانيّ، وقد نفى خاتمي أيّ عَلاقة له بهذا اللقاء، بيد أن الأحداث وقتها كانت تُفضِي إلى أن سياسة إيران تجاه القضيَّة الفلسطينيَّة لم تعُد تابعة لإدارة خاتمي، بل كان المرشد الإيرانيّ يسيطر عليها كُلِّيَّةً. وكان لهذا اللقاء أثر سيِّئ على العَلاقات، بحيث خرجت المجموعات بنتيجة هي استخدام الأُردُن ولبنان قاعدتين لمهاجمة إسرائيل ومحو وجود الكيان الصهيوني عن الخريطة، وهو ما أثار غضب الأُردُن وخوفه على أمنه الداخلي، إلا أن خاتمي حاول قدر المستطاع إبقاء الصراع في حدود ما يمكن السيطرة عليه وعدم الوصول إلى القطيعة بين الدولتين، وتابع نفي تَدَخُّل حكومته بهذه الأحداث.

في ٢٠٠٣/٩/٢ كانت أول زيارة للملك الأُردُن إلى طهران منذ عام ١٩٧٩ وقيام الثَّوْرة في إيران، وقد التقى فيها الملك عبد الله الثاني مع محمد خاتمي، وذكرت الصحف، ومنها صحيفة «الوطن» السُّعُودِيَّة، أن هذه الزيارة كان وساطة أُردُنيَّة بين إيران والولايات المُتَّحِدة لإعادة العَلاقات وسبل الحوار بشأن الملفّ النووي الإيرانيّ.

وقد نَفَت الأُردُن أنها سلّمت خمسة من «مجاهدي خلق» لإيران لإعادة سبل التفاوض بينها وبين إيران، وفي ٢٠٠٣ أزالت الولايات المُتَّحِدة اسم «مجاهدي خلق» من المنظَّمات الإرهابيَّة مقابل تسليمها السلاح، وهو ما فعله مجاهدو خلق مقابل الحماية الأمريكية.

ما بعد غزو العِراَق ٢٠٠٣

مثَّل الغزو الأمريكي للعراق نقطة خلاف بين الدولتين من منظورهما للحرب، فالأُردُن وجدت فيه مأساة وضغطًا كبيرًا نتيجة للمهاجرين إليها، وعانت من استقبالهم وتوفير العيش الكريم لهم نظرًا إلى محدودية الموارد فيها، التي تكفي بالكاد سُكّانها، ومن ناحية أخرى زاد تَوَسُّع وجود «القاعدة» في الأُردُن، الأمر الذي أثبته تفجير عدة فنادق في الأُردُن في ٢٠٠٥، وتبنته القاعدة[3]. أما إيران فوجدت في الغزو الأمريكي للعراق والإطاحة بصَدَّام حُسَين نصرًا استراتيجيًّا كبيرًا يؤدِّي إلى سيطرة الأغلبية الشِّيعِيَّة في العِراَق ونصرتها لإيران، ومن ثَمَّ كان الغزو الأمريكي يُعتبر نصرًا وخارطة سياسيَّة جديدة لإيران، في حين

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط، ٢٠٠٢/٦/٨، العدد ٨٥٩٣، خطوة إيرانية مماثلة منتظرة بعد سحب السفير الأُردُني.

(٢) تقرير الجزيرة. نت، تقرير «العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية، محطات من التوتُّر والحذر»، نُشر في ٢٠١٦/٤/١٩.

(٣) تقرير الجزيرة. نت، تقرير «العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية، محطات من التوتُّر والحذر»، نُشر في ٢٠١٦/٤/١٩.

تَكلَّف الأُردُن فوق طاقته من ضغط على البنية التحتية والموارد والتهديد لأمنه الداخليّ نتيجة هذا الغزو.

وقد زاد النُّفُوذ الإيرانيّ في العِرَاق نتيجة عدم تدخُّل الدول المجاورة، خصوصًا أن من تَسلَّموا مقاليد الحكم في العِرَاق كان أغلبهم منفيًّا، وعاد بعد الإطاحة بصَدَّام من المنفى. زيادة النُّفُوذ الإيرانيّ أدَّت بالملك عبد الله الثاني إلى استخدام وصف النُّفُوذ بـ«الهلال الشيعي»[1]، كناية عن القوى الإيرانيَّة المتحكمة في المنطقة، ففي مقالة له مع صحيفة «واشنطن بوست» في ٢٠٠٤ اتهم الملك عبد الله الثاني إيران بنيّتها تكوين جمهورية إسلامي في العِرَاق وأنها تسعى لتكوين هلال فارسيّ يضمّ العِرَاق وسوريا ولبنان. وفي ٢٠٠٤/١٢/٢٥ حذّر وزير الخارجيَّة الأُردُنيَّة الملقي من خطر إيران على العِرَاق والمنطقة، ومن سعيها لِمَا سُمِّي بـ«الهلال الشيعي».

وقد قاطعت إيران مؤتمر جيران العِرَاق الذي عُقد في الأُردُن في ٢٠٠٥ بحُجَّة أن الأُردُن يوفر مأوًى للبعثيين ويخطِّط لاستعادة الحكم الهاشمي في العِرَاق! وقد بقي التوتُّر قائمًا على العَلاقات، ففي عام ٢٠٠٧ أشار معروف البخيت رئيس الوزراء الأُردُني آنذاك إلى اشتراك إيران في أحداث غزة ومساعدة حماس على السيطرة على القطاع وحكمه.

بعد فشل العدوان الإسرائيليّ على جنوب لبنان في ٢٠٠٦، اتخذت إيران موقفًا واضحًا في جانب التكتُّل الذي ضمّ سوريا وحزب الله والمقاومة الفلسطينيَّة، في مواجهة مع التكتُّل الذي ضمّ الأُردُن ومصر والسُّعُودِيَّة، وقد اختلفت وجهات النظر في طريقة مواجهة هذا العدوان وعدم السماح للنفوذ الإيرانيّ بالتوسُّع في المنطقة[2].

(١) المصدر نفسه.
(٢) أحمد؛ سليمان علي، سياسة إيران الخارجيَّة تجاه الدول العربيَّة، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، ٢٠١٢.

النُّفُوذ الإيرانيّ في الأُردُن وقرع أجراس الخطر

منذ بدء العَلاقات لم يحظَ النُّفُوذ الإيرانيّ بأي فرصة للتعاظم في الأُردُن، نتيجة القلق منه على أمن الأُردُن والسلام الداخلي له، إلا أن الغزو الأميركي للعراق أثَّر كثيرًا في زيادة نسبة الشِّيعَة، ومن المعروف أن مُعظَم العائلات اللاجئة إلى الأُردُن من العِرَاق هم من الشِّيعَة، وأن هذه الطائفة تفضِّل الانفصال بحكمها دومًا، تجاوز الأُردُن الخط المسموح وبدأ قرع أجراس الإنذار خصوصًا بعد عام ٢٠٠٥. التزايد الشيعي في الأُردُن بات يؤثِّر على السُّكَّان الأصليين، فقد وجدت الإحصائيات أن ٣٠ عائلة من مخيَّم البقعة قد تَشيَّعَت، وكذلك بعض العائلات في إربد ومادبا السلط والزرقاء[3].

المشكلة أن الشِّيعَة في الأُردُن من أصحاب الأموال، والمشكلة الأكبر حصولهم على الجنسية الأُردُنيَّة وقيامهم بالاستثمار، ومن هنا ظهر القلق والخوف من تأثير سيطرة المال، وقد كان لهزيمة إسرائيل وتحرير جنوب لبنان أثر في زيادة التشيُّع، إذ يحظى حسن نصر الله زعيم حزب الله بشعبيَّة كبيرة سياسيًّا وإعلاميًّا بسبب موقفه تجاه القضيَّة الفلسطينيَّة. وقد تغيرت السياسات الأُردُنيَّة تجاه السياحة الإيرانيَّة في المنطقة إذ مُنحَ عديد من التسهيلات لزيارة القبور والأضرحة التي تعني لفئة الشِّيعَة كثيرًا، وبُنِيَ مسجد عند ضريح الصحابي جعفر بن أبي طالب بتمويل إيرانيّ، وبات مشهد النواح عند هذه الأضرحة أمرًا مألوفًا على الأراضي الأُردُنيَّة! وهنا نُذكِّر بموقف الملك عبد الله الثاني وتحذيره من قيام هلال شيعي في المنطقة يمتد من إيران إلى البحرين وسوريا في المنطقة، بحيث تصبح إيران ليست فقط دولة لها عَلاقات خارجيَّة مع الأُردُن، بل ودولة مجاورة في الحدود الشمالية

(٣) الجازي؛ ممدوح بريك، النُّفُوذ الإيراني في المنطقة العربيَّة على ضوء التحولات في الساسة الأمريكية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠١١.

والشرقية، وربما الغربية إن تغلغلت بين صفوف المقاومة الفلسطينيَّة أيضًا[1]!

وثائق ويكيليكس ودعوة نجاد

أبدى الأُردُن انزعاجه من تصريحات أشار إليها الرئيس أحمدي نجاد دون أي مناسبة للحديث عن الأمر، أشار فيها إلى مخطَّط إسرائيل لتقسيم الأُردُن وإقامة دولة فلسطينيَّة على أرضه.

تأرجحت العَلاقات بين البلدين بناءً على عديد من الوثائق التي كُشِفَ عنها بعد قضيَّة ويكيليكس الشهيرة، التي أدَّت إلى انفتاح في العَلاقات بين الدولتين، فقد أشارت وكيليكس إلى أن إحدى الوثائق تكشف تصريحًا لزيد الرفاعي، يقول فيه إن الحوار مع إيران لا جدوى منه ولن يصل إلى النتائج المرجوَّة، وإن حصلت إيران على السلاح النووي فسيكون الحلّ عندها عسكريًّا، مِمَّا دعا الأُردُن إلى المسارعة في الردّ بالنفي وأن ما تحمله وثائق ويكيليكس مجرَّد تحليلات للمسؤولين الأمريكيين. وفي بيان للردّ أكَّد الملك عبد الله الثاني أن موقف الأُردُن تجاه إيران وملفها النووي ثابت، وأن الأُردُن يرفض بشكل قاطع أي تدخل عسكريّ ضدّ إيران ويحذّر من أن أي عمل مثل هذا سيؤدِّي إلى إحلال كارثة في المنطقة وتدمير السلام والأمن فيها. وقد أدَّى هذا البيان إلى انفتاح أكبر في العَلاقات بين الدولتين تَمثَّل في ما اعتبره الرئيس الإيرانيّ السابق نجاد مصداقية من الجانب الأُردُني الرافض للحرب على إيران، وقد أرسل مع مدير مكتب الرئاسة رحيم مشائي وفدًا خاصًّا إلى الملك عبد الله الثاني وتَسلَّم الملك دعوة من الرئيس الإيرانيّ أحمدي نجاد له لزيارة طهران، وأعلن عن قبولها[2] [٤٧]، إلا أن الغضب الداخلي الذي واجهه نجاد بسبب دعوته الملك عبد الله الثاني لزيارة طهران، شكَّل ضغطًا كبيرًا عليه أدَّى إلى إرجاء الزيارة.

وفي تقرير استطلاعي صدر عن مركز الدراسات الاستراتيجيَّة في ٢٠١٠/٨، رصد الرأي العامّ عن رأي المواطنين في التدخُّل الإيرانيّ في المنطقة، أشارت النتائج إلى أن ٥٤٪ من المواطنين يؤيِّدون أن إيران تشكل تهديدًا للأُردُن، في حين أيدت وجهات النظر بنسبة ٦٩٪ عند قادة الرأي أن إيران تهدد المصالح الأُردُنيَّة[3].

ماذا بعد الربيع العربيّ؟

بعد أحداث الربيع العربيّ التي بدأت في ٢٠١١، أخذ الأُردُن يُبدِي قلقًا كبيرًا تجاه دور إيران في دمشق وبغداد وبيروت وصنعاء. وفي أول زيارة لاستعادة رمق العَلاقة بين الدولتين بعد انقطاع سبع سنين، زار وزير الخارجيَّة الإيرانيّ محمد جواد ظريف الأُردُن في ٢٠١٤/١/١٤. في المقابل في ٢٠١٥/٣/٧ زار وزير الخارجيَّة الأُردُني آنذاك ناصر جودة طهران، ليلتقي الرئيس حسن روحاني للحديث في سبل مكافحة الإرهاب والتطرف.

وفي العام نفسه رحّب الأُردُن بالاتفاق النووي الذي وقعته إيران مع الغرب في فيينا في ٢٠١٥/٧/١٤، إلا أن العَلاقات شابتها شوائب من جديد عند بدء محاكمة خالد الرباعي، النرويجي الجنسية، في محكمة أمن الدولة الأُردُنيَّة، بتهمة العمل لحساب الحرس الثوري الإيرانيّ والاشتباه في التخطيط لأعمال إرهابيَّة على أرض الأُردُن في ٢٠١٥/٧، وفي ٢٠١٥/٨/٤ وجَّهَت السُّعُودِيَّة والأُردُن رفضًا قاطعًا لأيّ محاولة تَدخُّل من إيران في المنطقة العربيَّة والتأثير على أمنها الداخلي.

ومن العام نفسه في ١٢/٢٥، أشارت وكالة أنباء «فارس» الإيرانيَّة إلى زيارة وزير الأوقاف الأُردُني لمدينة قم الإيرانيَّة، والتقائه مع مسؤولين إيرانيّين من ممثلي الحج مثل علي القاضي، وبحثه معهم التعاون بين

(١) المصدر السابق، انظر أيضًا: تقرير الجزيرة «العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية، محطات من التوتُّر والحذر»؛ ذنون، فواز، العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية.

(٢) تقرير قناة الجزيرة في ٢٠١١/٤/١٤، من إعداد محمد النجار، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews

(٣) العلاقات- الأُردُنيَّة- الإيرانية- تراوح- مكانها /٢٠١١/٤/١٤/

الـدولتين ومكافحـة الإرهـاب، ودعـا القاضـي في هـذه الزيـارة إلى توطيـد العَلاقـات والتعـاون في شـتى المجـالات بـين الـدولتين وإزالـة أيّ سـوء تفـاهم مـن شـأنه أن يعيـد العَلاقات إلى التوتُّر والقطيعة.

إلا أن الأُردُن في نـوفمبر ٢٠١٦، رفـض طلبًـا إيرانيًّـا بزيـارة نـصف مليـون سـائح إيرانـيّ للأراضـي الأُردُنيَّـة وزيـارة الأمـاكن المقدَّسـة للشِّيعَة فيهـا، معلّلًا ذلك برفض الأُردُن أيّ تدخُّلات في شؤونها الداخلية.

ووصـف الأُردُن اقتحـام الـسفارة الـسُّعُودِيَّة في طهران من الشهر نفسه بأنه «خرق واضح للقانون».

تبـعَ هـذا الوصـفَ اسـتدعاءُ الـسفير الإيرانـيّ لـدى الأُردُن وتـسليمه مـذكرة احتجـاج علـى الحادثـة. وفي أبريـل ٢٠١٦ حـذّرَت الـسُّعُودِيَّة والأُردُن مـن التـدخُّل الإيرانـيّ، ورفـضتا أي تَـدَخُّل إيرانـيّ في المنطقـة مـن شـأنه أن يُخِـلّ بـأمن الـدولتين، وقـد حـذّرَت كـل منهمـا مـن اسـتمرار الـسياسيَّة الإيرانيَّـة في المنطقـة بوصـفها بأنهـا تنمِّـي الإرهـاب وتُـشعِل الفـتن. وانتهـت الأمـور إلى اسـتدعاء الـسفير الأُردُنـي في طهـران ليُبـدِي الأُردُن اعتراضـه علـى مـا وصـفه بـ«وقفـة تقييميـة للتدخل الإيرانيّ في الشؤون العربيَّة»[1].

الخاتمة

أشـارت هـذه الدراسـة في المجمـل إلى تـاريخ العَلاقـات الأُردُنيَّـة- الإيرانيَّـة منـذ بـداياتها، ومرورهـا بعديـد مـن سـنوات الازدهـار وعودتهـا إلى التـأرجح والتخلخـل، والانقطـاع في بعـض الفـترات، مـرورًا بـذكر الأحـداث والأسـباب الـتي أدَّت إلى هـذا التذبـذب في العَلاقـات بـين الـدولتين، ومـن الواضـح أن فـترة العَلاقـات قبـل الحـرب العِراقيَّـة- الإيرانيَّـة، وفـترة مـا بعـد انتهـاء الحـرب في بدايـة التـسعينيات، شهدت أفضل الأوضاع بين الدولتين.

وانتهـت الدراسـة بالإشـارة إلى سـحب الـسفير الأُردُنـي مـن إيـران في مطلـع العـام الحـالي، وبقـاء العَلاقـات متراوحـة بـين التـوتُّر والـصداقة، ومحـاولات الدولتين للإبقاء على أي توتُّر بينهما قيد السيطرة.

وأشـارت الدراسـة إلى اخـتلاف التوجُّهـات بـين الـدولتين ومنظورهمـا الـسياسي لمـا يحـدث في المنطقـة، خـصوصًا القـضيَّة الفلـسطينيَّة والـصراع الإسـرائيليّ- العربـيّ، بالإضـافة إلى محـاولات إيـران فـرض نفوذهـا في المنطقـة واتِّخَـاذ الأُردُن في أكثـر مـن مـرة قاعـدةً لـشَنّ الهجمـات علـى إسـرائيل، وهـو مـا نفتـه الحكومـة الإيرانيَّـة، وأشـارت إلى خطـوات مؤسـفة في هـذا الاتجـاه تفعلـها جماعـات غـير تابعـة للحكومة الإيرانيَّة ولا تمثلها.

وفي ظـلّ آثـار مـا يُـسَمَّى «الربيـع العربـيّ»، والثَّـوْرة الأهليـة في سـوريا، ووجـود حـزب الله في لبنـان والنُّفُـوذ الإيرانـيّ عـن طريـق الـشِّيعَة في العِـرَاق، وبقـاء الـصراع الإسـرائيليّ العربـيّ ماثلًـا إلى اليـوم، فـإن القـارئ يجـد مـن الـصعب الوصـول إلى الوفـاق التـامّ بـين الـدولتين، بـسبب تعـارض المـصالح في القـضايا الـسياسيَّة والإقليميَّـة في المنطقـة، وسـعي إيـران المستمر لتوسـيع نفوذهـا وفـرض سـيطرتها وتَدَخُّـلها في شـؤون الـدول المجـاورة لـلأُردُن، ومـن ناحيـة أخـرى فـإن الأُردُن لـه عَلاقـات وطيـدة مـع دول مجلـس التعـاون الخَلِيجـي والسُّعُودِيَّة التي لها عَلاقات شائكة مع إيران.

هكـذا تبقـى العَلاقـات الأُردُنيَّـة- الإيرانيَّـة محـلّ تَـراوُح بـين صـداقة وتـوتُّر وقطيعـة، نتيجـة لعـدة أسـباب، منهـا اخـتلاف المـصالح، والعَلاقـات الدوليَّـة، وتأييـد أحـدهما عديـدًا مـن الأطـراف الـتي يعـدّها الآخَـر خطـرًا علـى أمنهـا ومـصالحها، بالإضـافة إلى العَلاقـات الإقليميَّـة للـدولتين الـتي لهـا أثـر بـالغ في تقوية أو إضعاف العَلاقة بينهما.

أخـيرًا كـان تحـذير الملـك عبـد الله الثـاني مبكـِّرًا مـن خطـر تَمـدُّد إيـران في المنطقـة العربيَّـة، وهـو خطـر متحقِّـق اليـوم ونفـوذ واقـع في أكثـر مـن بلـد عربـيّ، ولكـن الأُردُن لم يخـرج عـن التـصوُّر العربـيّ الـذي تقـوده المملكـة العربيَّـة الـسُّعُودِيَّة للأمـن القـومي العربـيّ، فبـادل إيـرانَ القطيعـةَ جَـرَّاء الاعتـداءات علـى الـسفارة الـسُّعُودِيَّة في طهـران والتـدخُّلات المـستمرَّة، وما زال الأُردُن متماهيًا تمامًا مع الموقف السُّعُودِيّ.

---

(١) عمان نت الإخباري، «انفتاح في العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية تتخلله مخاوف كامنة»، نُشر في ٢٠١٠/١٢/١٧.

مؤشرات التطرف لدى الشباب

عرض أسامة شحادة(*) – خاص بالراصد

هذه باكورة سلسلة الدراسات لمركز دلائل، وهي في الأصل جزء من رسالة الدكتوراه للمؤلف د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الهليل، والتي حصل عليها من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الدراسة جاءت في ٨٠ صفحة من القطع المتوسط، وصدرت طبعتها الأولى في الرياض سنة ١٤٣٧هـ.

فكرة الكتاب هي وضع بعض المؤشرات الفكرية والسلوكية التي تكشف للأسرة مبكراً عن تأثر أبنائها بفكر الغلو والتطرف، ما يساعد على سرعة العلاج والوقاية قبل التورط الكامل بتقبل منظومة التطرف والغلو أو الأعمال الإرهابية.

قامت الدراسة على بحث ميداني في المجتمع السعودي من خلال استبيانات أجاب عليها خبراء في التعامل مع أصحاب الفكر المتطرف، وبعض الموقوفين أمنيا على خلفية قضايا الغلو والتطرف، وبعض المتراجعين عن فكر الغلو، وبرغم خصوصيتها بدراسة الواقع السعودي إلا أن فيها مقدارا كبيرا مشتركا مع العديد من الدول والمجتمعات الأخرى.

(*) كاتب أردني.

وبعد تحليل الاستبيانات وصل الباحث إلى مجموعة من المؤشرات التي يشير وجودها لاحتمالية وجود تأثر بفكر الغلو والتطرف مما يستدعي اليقظة والمتابعة والوقاية والعلاج، وقسّم هذه المؤشرات إلى أربعة مجالات: الاقتصادية، والاجتماعية، والنفسية، والفكرية، وسنعرضها بإيجاز:

١- المؤشرات الاقتصادية

- التغير في الوضع المالي سلباً أو إيجاباً، حيث تختفي نقوده دون مبرر واضح، أو يغتني دون سبب، أو التخلي عن بعض المقتنيات الثمينة أو ظهورها فجأة، وكذلك ممارسة أنشطة خيرية بطريقة غير رسمية أو واضحة.
- ممارسة أنشطة تجارية مشبوهة.
- العزوف عن العمل الحكومي مع توفره، والاتجاه نحو التجارة البسيطة كبيع الخضار والعسل وما شابه، وتبرير ذلك بشبهات شرعية حول مشروعية العمل الحكومي.
- استغلال العمل الخيري لأعمال غير صحيحة، أو استباحة المال العام لصالح جهات أخرى.

٢- المؤشرات الاجتماعية

- عدم مشاركة الفرد في المناسبات الاجتماعية، وقلة الخلطة بالمنزل مع الأهل، ومرافقة أشخاص غير معروفين أو يبدو عليهم التشدد والغلو.
- قطع العلاقات والصداقات السابقة بطريقة مفاجئة.
- اتخاذ أصحاب جدد في الواقع أو عبر النت مشبوهين أو متشددين.
- الذهاب مع الغرباء لرحلات برية باسم الصيد، أو لصلاة الجمعة عند خطيب محدد لديه تشدد.
- عقوق الوالدين وقطيعة الرحم وكثرة المنازعات مع الأسرة، وتزايد النقد للوضع العام والعلماء والقادة.

٣- المؤشرات النفسية

- الانطوائية عن الأسرة والأصدقاء، ومتابعة مواقع النت المتشددة والغالية.
- التوتر والقلق والخوف عند ذكر أجهزة الأمن أو جرائم الغلاة.
- الوسواس والشك والاكتئاب ما لم يكن له سبب معروف.
- اختلال السلامة النفسية وظهور سلوكيات غريبة كإطالة الشعر وترك حسن المظهر.

٤- المؤشرات الفكرية

- التكفير، للمجتمعات والدول والقادة والجرأة على تكفير المعيّن، وتمني الانتقام منهم.
- الغلو بتقديس بعض رموز تيار العنف والقتال.
- تبني رؤية متطرفة تجاه الرياضة والبنوك والوطنية، والتركيز على السلبيات والتفسيق والتخوين.
- التشدد والميل للغلظة في القول والعمل والمعتقد.
- أحادية الرأي والتصلب فيه ورفض آراء الآخرين.
- الاعتماد على الرؤى والأحلام وتحميلها أكثر مما تحتمل.
- إسقاط الرموز العلمية والشرعية والسياسية.
- التجرؤ على الفتوى مع عدم القدرة العلمية خاصة في القضايا الكبرى.

- تتبّع الزلات وإشاعتها بهدف التنقيص من الدولة والعلماء وغيرهم ممن يعارضون أفكار الغلو والتطرف.

هذه هي المؤشرات التي يجب أن تتبّه الأسرة لحدوث خلل لدى أي فرد فيها مما يستدعي تدخلها، علمًا بأن للأسرة عدة أدوار، دورين منها قبل حدوث مشكلة الغلو والتطرف الأسرة هما:

١- الدور البنائي بدايةً بالتنشئة السليمة للأطفال دينياً واجتماعياً، بتعليمهم مبادئ الإسلام الصحيحة المنافية للغلو والتطرف، والتفاعل الإيجابي مع الآخرين.

٢- الدور الوقائي بترسيخ مفهوم التفكير النقدي للأفكار والسلوكيات، وإشاعة ثقافة الحوار بين أفراد الأسرة، ومتابعة صداقاتهم وقناعاتهم، وتوجيههم نحو عمل الخير والعلم النافع.

وهناك دوران للأسرة بعد حدوث مشكلة الغلو والتطرف فيها، هما:

٣- الدور العلاجي بالنصح والإرشاد بأسلوب حسن ومؤثر، وبيان النتائج السلبية لما يقوم به، وأنه مخالف لعادات الأسرة وتاريخها، وتفنيد القناعات الخاطئة، ومحاولة إبعاده عن رفقائه، والعقاب إذا اقتضى الحال، ورفع الأمر للجهات المختصة إذا لزم الأمر.

٤- الدور الرعائي وهذا يكون بعد عودته للأسرة لمتابعة إصلاحه، فعليها تشجيعه وتصبيره ومعاونته بالتفاؤل والمستقبل، وإشعاره بتقديره لذاته، وإظهار مشاعر العطف والتراحم، والحرص على مشاركته في المناسبات الاجتماعية.

إن مجتمعاتنا الحاضرة والتي تعاني من مشكلة الغلو والتطرف تحتاج إلى تلخيص مثل هذه الدراسات بأساليب متنوعة وتعميمها على الأسر والآباء والأمهات ولا تبقى حبيسة الجدران والأرفف في مكاتب المسؤولين، حتى نخطو فعلا نحو محاربة التطرف والغلو وصيانة فلذات الأكباد من شرورهما.



كارثة حلب: الجُناة

قالوا: كان أول خرق خطير في السفينة هو الهجوم الذي قامت به حركة الزنكي بمعاونة كتيبة أبي عمارة وجبهة النصرة على تجمع «فاستقم» الذي كان يرابط على نحو ثلث جبهات المدينة، ثم الهجوم الآخر الذي قام به تحالف الغلاة - النصرة وأبي عمارة وكتيبة أشدّاء- على فصيلَي جيش الإسلام وفيلق الشام. ذلك البغي الآثم أسقط قطعة مهمة من حزام حلب الدفاعي، لأن البغاة استولوا على معظم أسلحة وذخائر الفصائل الثلاثة واعتقلوا بعض مقاتليها وقادتها، بل إن قائد أبي عمارة الساديّ المجرم (الملقب بأبي بكري) اختطف بعض مقاتلي التجمع، فساقهم من الرباط إلى سلخانة الكتيبة وعذّبهم حتى الموت، لا سامحه اللّه.

مجاهد مأمون ديرانية

٢٠١٦/١٢/١٥

الفِكر الظلامي كيف ينمو وكيف يُجفّف؟

قالوا: في الإعلام نظريتان:

١- النظرية المعرفية؛ فالشخص الفارغ سهل عليه أن يتقبل أية فكرة جديدة وفق نظرية الاستجابة المعرفية، والشخص المليء فكرا وعلما يرفض قبول أية فكرة تخالف ما بُني عليه وحصن به، وذلك وفق نظرية التنافر المعرفي.

٢- نظرية الولاء (Loyalty)؛ فالشخص الذي لا يجد ما يحقق له استجابته المعرفية ينصرف إلى من يحقق له ذلك أو يشبع له حاجاته فيواليه دون غيره.

في ضوء ذلك يتبيّن لكلّ ذي لبّ أنّ: تفريغ الأجيال من ثوابتها وقيمها الراسخة، وتسطيح وعيهم لهو من خرق التخطيط الواعي الذي يرفد الفكر الإرهابي ويغذيه، وتُسهم في ضياع أجيالنا واستهدافهم واختطافهم وضياعهم من بين أيدينا.

تحصين الأجيال وبناؤهم بالعقيدة الصافية والعلم الثابت والمنهج القويم وتعميق وعيهم بدينهم الحقّ وتبصيرهم بمبادئه كما نزلت على النبي ﷺ وطبقها وفهمها صحابته الكرام وعدول الأمة وثقاتها، مع مجانبة تحريف المنحرفين وغلوّ الغالين والشاطحين، لهو السبيل الأقوى لمناهضة الإرهاب وتجفيف منابعه.

د. محمد أحمد ربابعة،

صفحته الشخصية

الحشد الشيعي أخطر من داعش

قالوا: إن الخطر الحقيقي على استقرار العراق والأمن في المنطقة على المدى الطويل يأتي من ميليشيات «الحشد الشعبي» المدعومة من إيران، وليس من تنظيم داعش.

... إن تجاوزات الميليشيات الشيعية ضد المدنيين السنة تشكل تهديدا لكل الجهود الرامية إلى جعل المكون السني جزءا من الحل في العراق وليس عاملا للفشل.

وحذر من تنامي نفوذ هذه الميليشيات المدعومة إيرانيا بحيث تصبح الحكومة العراقية عاجزة عن احتوائها.

مهمة دحر داعش في العراق يجب أن تتجز من خلال القوات العراقية المدعومة من التحالف الدولي، مشيرا إلى ضرورة خلق قوات سنية مناوئة لداعش، ووقف تجاوزات الميليشيات الشيعية بحق المواطنين السنة التي تزيد من حدة التوتر الطائفي في البلاد.

واستبعد التحالف بين واشنطن وطهران في العراق، متهما إيران بأنها جزء من المشكلة لا الحل، محذرا من أن تنامي نفوذها في الشرق الأوسط، سيؤدي إلى اتساع رقعة التطرف وربما «انتشار نووي» في المنطقة.

الرئيس السابق لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، ديفيد بتريوس

موقع سكاي نيوز ٢٠١٦/١٢/٢١

مستقبل لبنان المحتمل

قالوا: إذا ما حققت إيران وحزب اللّه أهدافهما في سوريا، فسيعودان قريبا إلى النغمة التقليدية القديمة القائمة على معزوفة «الموت لإسرائيل». سيكون هناك حاجة حينها

للتشديد على هذه المعزوفة التي قد تتطلب ما يمكن تسميته بالاشتباك المنخفض المستوى مع إسرائيل وذلك ليعيد الحزب وتعيد إيران من ورائه بناء شرعيّتهم وشعبيتهم الإقليمية التي فقدوها في السنوات القليلة الماضية.

لا شك أنّ حزب الله سيكون بحاجة إلى راحة بعد المستنقع السوري، وهذا يفترض انّه لن يبادر إلى افتعال حرب مع إسرائيل، وأنّ مصلحته ستقتضي منه التركيز على رسائله السابقة تجاهها، وهي الرسائل التي سمحت له في المرحلة الماضية بأن يترك ظهره مكشوفا لها، وأن يثق بأنها لن تشنّ هجوماً عليه.

وذلك، فإذا ما راقبنا الوضع في لبنان مؤخراً، فسنرى أنّ حزب الله قد بدأ بخطوات لتحصين نفسه وتأمين الراحة التي نتحدث عنها من خلال إعادة إحياء النظام السياسي الميّت في البلاد وتغلغله في المؤسسات الرسمية، والحرص على أن يكون حلفاؤه في الواجهة السياسية للبلاد، وذلك كي يستطيع الحزب الاختباء وراء الدولة اللبنانية فتتولى هي مهمّة الدفاع عنه في الأزمات، تماما كما كان يحصل سابقا خلال العقود الثلاثة الماضية.

لكن القرار النهائي في أمور من هذا النوع لا تعود إلى الحزب نفسه وإنما إلى المرشد الأعلى، تماماً كما كان الأمر عليه في العام ٢٠٠٦ أيضاً. بالنسبة إلى إيران، فإنّ حزب الله في لبنان هو فرع خارجي للحرس الثوري الايراني، ولذلك فعندما يأتيه الأمر، لا مجال للاجتهاد فيه. في المرحلة المقبلة، وإذا ما قام ترامب بتشديد الخناق على النظام الإيراني ولاسيما فيما يتعلق بالاتفاق النووي ودور إيران الإقليمي فسيكون نظام الملالي بحاجة إلى حزب الله وإلى معركة إسرائيلية بأسرع مما يتصوّر كثيرون.

علي باكير – موقع عربي ٢١، ٢٠١٦/١٢/٢٤

الجيش الإلكتروني الإيراني

قالوا: أعلن قائد ميليشيات الباسيج للطلبة في المدارس الإيرانية، علي صابر هاماني، عن تشكيل «كتائب إلكترونية» من طلبة المدارس بهدف «إشراكهم في الحرب الإلكترونية الناعمة ضد البلاد»، وذلك على غرار «الجيش الإلكتروني» المشترك التابع لأجهزة الاستخبارات الإيرانية، والذي يتولى مهمة مراقبة النشاطات المعادية عبر الإنترنت.

ونقلت وكالة «فارس» عن هاماني قوله إن قسم الباسيج للطلبة أنشأ «لجنة الفضاء المجازي» لتدريب هؤلاء الطلبة على كيفية النشاط ولعب دور مفيد عبر شبكات التواصل الاجتماعي وتوعيتهم بأضرار هذه الشبكات.

وتقوم هذه اللجنة بإقامة دورات شارك فيها ٢٠٠ طالب من النخبة من مختلف المحافظات لتدريبهم على كيفية إدارة الصراع في الفضاء المجازي (الإنترنت).

العربية نت ٢٠١٦/١٢/٥

تركيا غاضبة من إيران

قالوا: أكد مدير أحد المواقع الإخبارية التركية الناطقة بالعربية أن توجيهات وصلت لهم تقضى بالتركيز على «دور إيران في المجازر التى تحصل في حلب والتركيز على دور الميليشيات الإيرانية في محاولة إفشال اتفاق وقف إطلاق النار في حلب.

وكالة «الأناضول» الرسمية بثت منذ مساء الأربعاء العديد من الأخبار التى تتهم إيران بشكل مباشر بتخريب الاتفاق، وذكرت اسم جنرال إيرانى قالت إنه يشرف على ميليشيات شيعية تقوم بارتكاب المجازر ضد المدنيين في حلب.

وركزت وسائل الإعلام التركية خلال الساعات الأخيرة على مصطلحات «الميليشيات الإيرانية» و«الميليشيات الشيعية التى تديرها إيران»، و«مرتزقة إيران في سوريا»، ومنذ صباح أمس الخميس نقلت الفضائيات الإخبارية التركية عمليات إخلاء المدنيين والمقاتلين من مدينة حلب عبر البث المباشر، وهاجم عشرات المحللين السياسيين والكتاب المقربين من الحكومة إيران بقوة في مقالاتهم صباح الخميس.

وأطلقت خمس محطات إذاعية تركية برنامجاً مشتركاً بعنوان «صوت حلب» بهدف تسليط الضوء على المأساة الإنسانية التى تعيشها مدينة حلب، .. وفي حادثة تكررت في ثلاث فضائيات، لم يتمكن مقدمو البرامج ونشرات الأخبار من إتمام برامجهم بعد أن انهاروا بفعل البكاء الشديد أثناء عرض مقاطع فيديو للقتلى من الأطفال والنساء ومناشدات الأطفال المحاصرين داخل أحياء حلب الشرقية.

ومساء الأربعاء، خرج آلاف المواطنين الأتراك والسوريين في مظاهرة أمام القنصلية الإيرانية في إسطنبول للتضامن مع أهالى حلب المحاصرين، والتنديد بالتدخل الإيرانى في سوريا وعرقلتها اتفاق وقف إطلاق النار وإخلاء المدنيين، وذلك بدعوة من عدد من منظمات المجتمع المدني التركية المقربة من حزب العدالة والتنمية الحاكم.

القدس العربي ٢٠١٦/١٢/١٦

حلب بين التفاؤل والتخذيل

د. جمال الباشا – صفحته الشخصية

بين بثِّ روح التفاؤل في الناس وتخديرهم شعرة، فمنشأ الأول العلم والبصيرة والقراءة الواعية لسنن الله وفقه الواقع بسياقاته بعيدا عن النرجسية الحالمة، ومنشأ الثاني العواطف الجياشة واستقراء النصوص الشرعية المتفائلة بطريقة خاطئة وتكلف إسقاطها على الواقع.

وفي الطرف الآخر من المعادلة يقف فريق آخر ليس له وظيفة سوى التخذيل وتثبيط العزائم، ولا يحسن سوى النقد الهدام، نظرته سوداوية قاتمة، لا يقع نظره إلا على النقائص، ولا يخط قلمه غير المعايب.

يضعُ شروطا مثالية تعجيزية للنصر لم تكن موجودة حتى في عصر النبوة.

نسي هؤلاء أنَّ المنافقين كانوا ينتشرون في المدينة النبوية ويتمالؤون على المؤمنين ليل نهار، وأنَّ رأسهم رجع بثلث الجيش يوم أحد، وأنَّ الرماة خالفوا أمر النبي ﷺ طمعا بالغنيمة وكان ذلك سببا في تقهقر المسلمين في المعركة.

وأنه لم يخلُ عصر الصحابة الكرام من نزاعات وخلافات داخلية أضرَّت بالدولة الإسلامية وأخَّرت توسُّعها.

والعبرة في تقييم الحالة العامة والحكم عليها من خلال تحولاتها الإيمانية وعزيمتها الجهادية صعودًا ونزولا.

أخبرتني السنن أنَّ النصر مع الصبر، وأنَّ الفرَج مع الكرب، وأنَّ مع العسر يسرا، وأنَّ الفئة القليلة بالإيمان تغلب الفئة الكثيرة بإذن الله، وأنَّ المؤمن مكلف بأداء ما كلف به من إقامة شرع الله ودينه، وحصول النتائج بيد الله وحده، وأنَّ العبد يستعجل النصر ولكنَّ الله لا يعجل لعجلته.

أخبرتني السنن أنَّ دورة التاريخ أطول من عمر الفرد، ولأجل ذلك تتشوف نفس الواحد منا إلى رؤية النتائج العاجلة في حياته، لكن من قرأ التاريخ أدرك أنَّ النصر قد تصنعه أجيال متعاقبة، فقد يزرع الأجداد ويقطف الأحفاد.

لقد اختل مفهوم النصر وميزانه عند بعض الناس فبات لا يرى النصر إلا في صالح القاتل ضد المقتول دون الأخذ بعين الاعتبار أوجه النصر الأخرى كالثبات على المبدأ وصلابة الإرادة وظهور الحقيقة وتعرية الباطل.

قال لي أحدهم يوما: إنَّ الصحابة قدَّموا تضحياتٍ جسامًا في سبيل دينهم فاستحقوا النصر والتمكين، فهل قدَّمت الأمة اليوم كما قدموا؟

فكان جوابي: نعم، سيشهد التاريخ أنا رأينا صورا من البطولات في الأمة لم يشهدها أسلافنا ولم نقرأ عنها من قبل.

إذا كان في الأمة من سحبه المشركون على رمال مكة الحارة، فقد رأينا من تفنن المجرمون بتعذيبهم حتى الموت بالمثقاب الحديدي والتيار الكهربائي، وأُجلسوا على الخوازيق.

رأينا من قضى في السجون سنوات وهو عار بلا ثياب في شدة البرد، وقُلل عنه الطعام حتى التصق جلده

بعظمه ليموت موتا بطيئا.

رأينا مئات الآلاف بما فيهم العلماء والدعاة وحفظة القرآن يعذبون في السجون من أجل دينهم.

آلاف النساء انتهكت أعراضهن في سبيل دينهن.

إن كان الناس يقتلون في ما مضى بالسيوف والرماح فالقتل اليوم بالبراميل المتفجرة التي تمزق الأبدان وتفتت العظام، فكم من شهيد دفن في صندوق كرتوني صغير لأنه لم يبق من أشلائه إلا ما تحمله اليد الواحدة.

إن كان الرعب فيما مضى ببرق السيوف فوق الرؤوس فرعب اليوم بأصوات الصواريخ والطائرات التي تبلغ بالقلوب الحناجر.

الموت اليوم بنكهة سموم الكيمياوي ووهج الفسفور الأبيض.

وإن أكل المحاصرون في شِعب أبي طالب أوراق الشجر فقد أكل المحاصرون في الغوطة القطط والكلاب.

لقد رأينا أحد الأبطال وقد دفنه الجلاوزة حتى رأسه وهو معصب العينين، يساومونه على أن يذكر طاغوتهم بالتوحيد، فيردد بقوة وثبات: لا إله إلا الله محمد رسول الله فينقطع صوته مع انقطاع نفسه بردم التراب عليه.

إن كان في سالف الأمة خنساء صبرت على فقد أبنائها الأربعة في سبيل الله، فقد رأينا اليوم مئات الخنساوات تفقد العشرة وزيادة من أهلها فتحتسبهم عند الله وتقول: كلنا فداء للإسلام، ولم تذرف لها عين.

رأينا فتىً من جند الإسلام دون البلوغ يحيط به الشبيحة من كل مكان يوسعونه ضربا ويأمرونه بالسجود لصورة طاغوتهم فيقترب منها متظاهرا بالاستجابة ثم يبصق عليه.

أليس من الظلم والإجحاف أن ننسى كل هذه البطولات، وأن نتنكر لأكثر من مليون شهيد قتل من الأمة في هذا العقد على يد الظالمين من الرافضة والنصيرية والروس والصليبيين، بسبب تخاذل من تخاذل، وخطأ من أخطأ؟!

هل تلوموننا على حسن ظننا بالله الكريم الذي توعد عباده بالنصر إن هم نصروه فقال: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾؟!

أقولها وبكل صراحة.. لم أكن في وقت من الأوقات أعظم تفاؤلا مني اليوم.. لقد كان أكثر الناس في غفلة وجهل وسبات عميق، نعم يأكلون ويشربون ويتنفسون ولكن بلا همٍّ ولا قضية، ووصل بهم الحال في غفلتهم أنهم يرون الشيعة إخوانا لهم، ويعوِّلون عليهم في تحرير فلسطين، في الوقت الذي كانت إيران تسير في مشروعها الاستراتيجي للهيمنة على المنطقة بأسلوبها الناعم وبمدد من كل أعداء الملة في الداخل والخارج، بما فيهم اليهود، فجاءت هذه الثورات المباركة لتسقط القناع عن هذا المشروع الكارثي قبل تحقيق أهدافه، وفضحته وهتكت ستره، وصار أصغر أبناء الأمة واعيا بالخطر الشيعي ومشروعه في المنطقة، وهذا المكسب لو لم تخرج الثورات إلا به لاستحق الكلفة، ووالله لو أنفقت الأمة مئات المليارات لشراء هذا الوعي ما قدرت عليه.

إنَّ لدينا في الشام اليوم ما يزيد عن مئة ألف مجاهد قد باعوا أنفسهم لله، وفي الأمة عشرات الملايين من الأبطال الذين يتحرَّقون في تربُّصهم لملاقات عدوِّهم حينما تُتاح لهم الفرصة، قد ألهبتهم الأحداث من حولهم، وصار الجهاد أشهى لأحدهم من الماء البارد على الظمأ.

ولا ينبغي أن ننسى أنَّ أعداءنا قد دفعوا ثمنا باهظا في تلكم النزالات، وسَلوا مقابرَ النجف والسيدة زينب، وطائرات الشحن الأمريكية عن مئات آلاف النعوش التي أرسلها المجاهدون من الميادين.. إنهم يألمون كما نألم، ونرجو من الله ما لا يرجون، فقتلانا في الجنة وقتلاهم في النار.

إنَّ نصر الله قريب وَفق هذه القراءة التي عرضتها بإيجاز، والشواهد على ما ذكرت كثيرة جدا، ولا ينبغي أن يُفهم من كلامي هذا أنَّ النصر سيكون خلال بضعة أشهر ولا بالضرورة أن يكون في بضع سنين، ولكني أقول: إنَّ الأمة اليوم في حالة نهضة ووعي إيماني وسياسي غير مسبوق، وقد أبدت من الصمود والتضحية في سبيل عزتها وانعتاقها من الطواغيت ما يجعلها على الطريق الصحيح، وأما وقت بلوغ النهاية فعلمه عند الواحد الأحد وحين يأذن، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الثورة السورية والكرة بعد الفرة

د. محمد بن إبراهيم السعيدي – الوطن السعودية ٢٠١٦/١٢/١٩

قبل أسابيع كتبت مقالاً بعنوان: «مأساة سوريا، مقترح الحل ومعالم المستقبل» وبَيْنَ ما سأكتبه هنا وما كتبتُه هناك ارتباط في الموضوع وفي النتائج أيضا، ففي هذه الأيام نعيش جميعاً مأساة حلب، وهي مأساة يجب أن لا تمثل نهاية الثورة السورية، لأن ذلك إن كان فهو يعني نجاح مرحلة مهمة تم تأجيلها أربعة وثلاثين عاما من مراحل المشروع الصهيوني في بلاد الشام، وكان مقرراً لها أن تنتهي عام ١٩٨٢م إلا أنه تبين للكيان الصهيوني أن كُلفتها ستكون عاليةً جداً، فتم إرجاؤها إلى أن يأتي اليوم الذي يتمكن فيه هذا الكيان إنجاز هذه المرحلة دون خسائر.

وبالفعل فإن ما يحدث في سوريا، وإلى حد كبير ما يحدث في العراق أيضا من إفراغ كل مساحات غرب الفرات من أهلها، هو المرحلة الممهدة للغاية الأكبر، وهي توسيع دولة إسرائيل باتجاه حدها الشرقي المزعوم وهو نهر الفرات.

وقد كانت محاولة رئيس الوزراء الصهيوني الهالك إيريل شارون اجتياح لبنان عبارة عن تجربة، أو جس نبض أثبت أن العجلة في تنفيذ المشروع لن تؤتي ثمارها المطلوبة، وهم اليوم يَرَوْن أنهم يعيشون في الوقت المناسب، فهاهي الهجرة السورية والعراقية تتم على أيدي أطراف أخرى ليس من بينهم رجل واحد من الصهاينة.

المعممون الإيرانيون وأزلامهم ودُمَاهُم، يعلمون جيداً أن الروس ليسوا قادمين من أجلهم، لكنهم لا يمانعون في خدمة المشروع الصهيوني وهو بناء دولة ملك آل دَاوُدَ، على أمل كبير، وربما على يقين بأن الشراكة الاستراتيجية مع الصهاينة سوف تحقق لهم مكاسب كبيرة في مشروعهم الخاص، وهو بناء دولة المهدي المزعوم، فهناك رابطة قوية بين المشروعين وهي رابطة الخرافة، التي تجمعهم أيضا مع الصهاينة الأمريكيين الذين يسعون من خلال دعمهم لكيان إسرائيل لإنشاء دولة المسيح المنتظر.

هزيمة السوريين في حلب يجب أن لا تكون نهاية الثورة السورية لأمور كثيرة أحدها هو ما تقدم تفصيله، أما الأسباب الباقية فهي كثيرة منها الشرعي، ومنها السياسي ومنها الاجتماعي، ومنها الإنساني والعالمي.

والسؤال كيف لنا ذلك، أي: كيف لنا أن لا نجعلها نهاية الثورة، مع أن معظم التوقعات تفيد بأن المجاهدين سوف ينتقلون من حلب إلى أدلب وبالطريقة نفسها سيتم حصارهم، ومن ثَمّ تصفيتهم فالمسألة إذاً مسألة وقت لا غير؟ هكذا يقولون.

والجواب: أن الثورة السورية بالرغم من البكاء والآلام التي نستمع إليها في كل مكان، وبالرغم من الحديث الكثير المُحبِط الذي نجده في الشاشات والصحف ووسائل التواصل الاجتماعي، وأيضا بالرغم من الحكمة المُصْطَنعة والتي يُطلَب أصحابها بالتسليم للأمر الواقع واستخدام الأوراق المتبقية للضغط في اتجاه الخروج بشيء من المكاسب بدلاً من الخروج بالخسارة المحضة. أقول إن الثورة السورية بالرغم من كل ذلك لا تزال تملك مقومات البقاء بل ومقومات النصر أيضا، لكنها لا تستطيع الإفادة من هذه المقومات حتى تواجه نفسها ويواجه أنصارها أنفسهم بأسباب فشلها.

إن هذا التفرق الكبير بين الفصائل السورية يجب أن ينتهي الآن، ويُكوِّن الجميع وحدةً اندماجية تتخلى فيها كل الفصائل الصغيرة عن قياداتها وتدفع بعناصرها نحو الجيش السوري الموحد؛ أن هذه الخطوة قد تم عرضها في الملتقى الذي عُقِدَ في الرياض للفصائل السورية، وقَبِله ممثلوها جميع الفصائل الكبيرة ما عدا النصرة التي لم تعترف بهذا اللقاء أصلاً؛ لكن المشكلة جاءت في الميدان، فبعض الفصائل لم تعترف بما اتجه إليه ممثلوها في ذلك اللقاء، والآخرون لم يُقدّموا أكثر من التعاون الجزئي، واتخاذ غرفة عمليات موحدة في بعض المواقف الصعبة، ومع ذلك فقد كان للتعاون اليسير أثره الكبير في الانتصارات التي تحققت في حلب قبل أشهر، والتي شَكَّلَت الدافع الرئيس للنظام وأزلامه، لإعادة الكرة التي انتهت بالهزيمة المنكرة كنتيجة حتمية للتنازع والتفرق بين الفصائل السورية.

ويجب أن يُواجه كل فصيل يأبى الاندماج لأسباب فكرية مزعومة كما هو حال فتح الشام [النصرة] وجميع الفصائل المُطَوّعة لها، والتي تأبى الاندماج باعتبارها هي المثل الوحيد وفق زعمها للجهاد الحقيقي ومقاومة العدو، أو لأسباب تنظيمية ومالية، كما هو حال فضائل أخرى ذات مصادر للدعم تحول بينها وبين الاندماج، هذه الفصائل يجب أن تواجه بالبراءة منها، ومطالبة عناصرها بالانضمام إلى الجيش الموحد.

تكميلاً لهذا الأمر يجب على الدول الداعمة للثورة السورية أن تحصر دعمها في الجيش الموحد، وأن تقف في وجه أي دعم شعبي لفصائل خارجة عن هذا الجيش.

إن وجود جيش واحد ذي حركة متناسقة، وقيادة واحدة خبيرة وغطاء داعم هو السبيل الوحيد لإنقاذ المقاتلين السوريين من التنازع واستغلالهم من قِبَل دول ومؤسسات خارجية للاقتتال بينهم نيابة عنها، أو مجالاً للمنافسة الإعلامية بين دول ومؤسسات أُخَر، كما أنه السبيل الوحيد لإيقاف فوضى إنشاء الفصائل الذي وصل إلى حد أن قُطّاع الطرق والمهربين وتجار المخدرات أصبحوا يُنْشِؤون فصائل تحت زعم الجهاد يغلقون بها الطرق، ويحتلون بها الأحياء كي يتقاضوا الإتاوات من المارين والأهالي؛ وهي ظاهرة سيئة جداً معروفة في طول سوريا وعرضها، وإن كان الكثيرون يأبون الاعتراف بها حرصاً على سمعة الجهاد.

وجود جيش بهذا الشكل سوف يزيل أسباب تأخر الدعم من الدول الملتزمة بالقضية السورية، لأن جيشاً موحداً يعني أن له متحدثاً رسمياً واحداً وتوجهاً سياسياً واحد يتناسب مع حاجاته العسكرية وتطلعاته المستقبلية، ولا يُمكن أن يصدر عنه ما يُقلق الدول الداعمة للثورة من تصريحات معادية لهذه الدول نجدها اليوم تصدر من أناس محسوبين على قيادة بعض الفصائل في سوريا، ولا نسمع من الآخرين براءة منها أو رداً عليها، ومن حق أي دولة داعمة أن تتوجس من أمثال هذه التصريحات، وتُشدد الإجراءات والتحريات في إيصال دعمها للمجاهدين.

كما أن مثل هذا الاندماج في جيش واحد سيُسَهِّل فرصة استعمال الأسلحة التي أوصلتها الدول الداعمة فعلياً لبعض فصائل المجاهدين الكبرى، ولم يتمكنوا من الاستفادة منها لأسباب عديدة أهمها فوضى العمل المسلح.

ولنكن واقعيين وغير مكابرين ولا مأسورين للأحلام وتفخيم الذات ونقول: إن الثورة السورية بحاجة لدول أوربا والولايات المتحدة، وقد أثبتت التجارب أن أي تعالي على هذه الحقيقة هو مكابرة قاتلة، وفشل كبير في التفكير وتقدير الأمور بقدرها، ولا يمكن أن تقف هذه الدول مع ثورة فوضوية، لا يُمكن التفاوض أو التحاور معها، ولا معرفة تطلعاتها، وذلك لكثرة رؤوسها وتشعبها وتباين طرقهم في التفكير.

الأهم من كل ذلك أن لا نيأس ولا نقنط، وأن نعتبر ما مر من فشل ليس أكثر من دروس نستفيد منها ونتلافى أخطاءها بأقصى سرعة، وأن لا نجامل أحداً في سعينا الحثيث لإعادة بناء أنفسنا وتدارك أخطائنا.

الإجراء الذي أراه عملياً ويجب أن تبدأ جميع

الفصائل به، هو اجتماع ممثليها جميعاً من جديد وفي الرياض أيضا وإعلان الاندماج التام تحت قيادة واحدة وهيكل واحد يختاره الأكثرون وترتضيه الدول الداعمة وعلى رأسها المملكة العربية السعودية، وليلهجوا بصوت واحد ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾.

هل يمكن الإيقاع بين روسيا وإيران في سوريا؟

علي حسين باكير – عربي ٢١ - ٢٠١٦/١٢/١٧

منذ أن تدخّلت موسكو عسكرياً في سوريا في سبتمبر من العام ٢٠١٥، لم يتوقّف الحديث عن وجود خلافات بين روسيا وإيران في الملف السوري، لكن لم يثبت في أي مرحلة من المراحل أنّ مثل هذا الافتراض حقيقي أو واقعي.

صحيح أنّ هناك بعض الاختبارات اللاحقة التي أثبتت أنّ الطرفين لا يمتلكان بالضرورة رؤية متطابقة حيال بعض التفاصيل، لكن من قال إنّ غياب مثل هذا الأمر يعني أنّ الجانبين أصبحا على طرفي نقيض؟! بل على العكس، إذ لطالما تحدّثنا عن الكثير من الشواهد التي كانت تشير إلى أنّ طبيعة الدور الروسي والإيراني في سوريا هي طبيعة تكاملية وليست صداميّة.

تشير التقارير إلى أنّ ترامب وكذلك العديد من الأشخاص الذين اختارهم ليكونوا معه في الإدارة الأمريكية الجديدة، يمتلكون علاقات جيدة للغاية مع بوتين. لقد امتدح بوتين ترامب عدّة مرات خلال الحملة الانتخابية للأخير، وكذلك دافع ترامب عن بوتين وعن روسيا في العديد من المناسبات. قبل عدّة أيام، اختار ترامب الرئيس التنفيذي لشركة إكسون موبيل «ريكستيلرسون» لحقيبة وزارة الخارجية، فأصدر الكرملين بيانا أشاد فيه بتيلرسون واصفاً إياه بالشخص المحترف جدا، مضيفا أنّ «بوتين يعرفه شخصياً».

في المقابل، فإنّ كل المؤشرات المتوافرة حتى الآن تشير إلى أنّ موقف إدارة ترامب من إيران سيكون متشدداً للغاية، حيث من المنتظر أن تقوم بكبح التمدد الإقليمي للنظام الإيراني، وهو الأمر الذي يثير تساؤلات حول الكيفية التي سيتم فيها الجمع بين هذه التناقضات سيما في ما يتعلّق بنظام الأسد، وذلك في ضوء العلاقة التكاملية - حتى الآن- بين روسيا وإيران في سوريا.

إحدى أوجه الأجوبة المحتملة على هذه التساؤلات هو محاولة إحداث شرخ أو تناقض بين روسيا وإيران في سوريا. مثل هذا الأمرقد يصبح ممكناً إذا ما ثبت أنّ الافتراضات المبدئية أعلاه صحيحة، وما يعزز من إمكانيّة حصول مثل هذا الأمر أنّه سيكون بالإمكان التخلي عن الدور الإيراني الذي شرع نفسه في سوريا تحت يافطة مكافحة الإرهاب، لصالح الاعتماد على تركيا للقيام بمثل هذه المهمة.

في مثل هذه الحالة ستضم المعادلة كل من إدارة ترامب وروسيا وتركيا، وهو مثلث قد يجد الانسجام المطلوب للاتفاق سيما وأنّ هناك من يعتقد في تركيا أنّ العلاقات مع إدارة ترامب ستكون أفضل بكثير من العلاقة مع إدارة أوباما. إذ سبق لترامب الذي يمتلك مصالح اقتصادية في إسطنبول أن امتدح الرئيس التركي، وبدوره دافع أردوغان بطريقة غير مباشرة عن ترامب عندما طالب من ينتقده بأن يحترم نتائج الانتخابات التي أتت به إذا كانوا يؤمنون بالديمقراطية حقّاً. كذلك كانت هناك مواقف إيجابية لمايكل فلين، مستشار الأمن القومي في إدارة ترامب، تجاه تركيا.

لكن، هل من الممكن حقّاً أن يتم خلق هوّة بين الجانب الروسي والإيراني في سوريا؟ وهل من الممكن للروسي أن يجبر إيران على تغيير أجندتها، أو ربما إخضاع أجندتها للأجندة الروسية وتاليا للمثلث الأمريكي- الروسي- التركي؟

حتى الآن، بدا عدم التطابق في المواقف بين روسيا وإيران واضحاً في حالتين فقط في سوريا، الأولى كانت

عندما استخدمت روسيا قاعدة عسكرية في إيران قرب همدان في آب/ أغسطس الماضي لضرب أهداف في سوريا وأعلنت بعدها ذلك على الملأ الأمر الذي تسبب بمشاكل داخلية في إيران.

أمّا الحالة الثانية فهي الاتفاق الذي توصلت إليه تركيا وروسيا بخصوص حلب، ولأنّ إيران لم تكن جزءاً منه فقد حاولت عبر ميليشياتها وعبر النظام السوري تخريبه بكل الوسائل الممكنة، فهي في نهاية المطاف تعتبر أنّها تتحمّل الدور الرئيسي على الأرض عبر ميليشياتها الطائفية المسلّحة، ويجب أن يكون لها كلمة في أي اتفاق يتم التوصل إليه.

هناك من يعتقد بأنّ خلق هوّة بين روسيا وإيران سيكون ممكناً في عهد ترامب، وأنّ الحالات السابقة قد توفّر فرصاً محتملة وتعزّز مثل هذه الفرضية، لكن بشرط أن يتم التسليم بقيادة روسيا للملف الروسي بشكل رسمي. ففي مرحلة من المراحل ما قبل الاتفاق النووي بين إدارة أوباما والنظام الإيراني وافقت روسيا على فرض عقوبات متصاعدة على إيران، وسيكون لموسكو مصلحة بالتأكيد في المرحلة القادمة أن لا تزيد إيران من إنتاج النفط والغاز لأنّ ذلك قد يؤثّر على الأرجح سلبا عليها، كما أنّه قد يقتطع حصّة من أسواقها الخارجية فضلا عن أنّه قد يقوّض من استخدام الطاقة كسلاح في السياسة الخارجيّة الروسية.

إذا ما صحّ مثل هذا التقييم، فهذا يعني أنّ الجانب التركي بدأ يستبق مثل هذا السيناريو ويعدّ الأرضيّة اللازمة له من خلال انفتاح أكبر على موسكو في الملف السوري، لكن في جميع الأحوال سيكون علينا الانتظار لنرى حقيقة السياسة الخارجية التي ستتّبعها إدارة ترامب تجاه كل هؤلاء اللاعبين قبل أن نستطيع إعادة تقييم مثل هذا السيناريو بشكل أفضل.

الخرطوم وطهران... طلاقٌ بلا رجعة!!

جريدة التيار السودانية – /٢٠١٦/١٢

على نحوٍ مفاجيءٍ، أنهت وزارة الخارجية استئجار مبنى سفارة السودان بطهران، وباعت محتوياته كَافّة، فيما قامت بتشميع سفارة إيران بالخرطوم بالشمع الأحمر التي تقع في ضاحية المقرن – مربع ١٥ - منزل ٤ - جنوب البنك الزراعي وإخضاعها للحراسة، في إشارة تؤكد إصرار الخرطوم على قطع العلاقات الدبلوماسية مع طهران بشكل نهائي، وأنّه لا أمل في إعادتها، ولم يتم التعرف على أسباب دواعي التطور وأسباب تَشميع سفارة إيران بالرغم من قيامها بطرد سفيرها في الخرطوم على خلفية الهُجوم على السفارة والقنصلية السعوديتين في طهران، وألقت التطورات السياسية والأمنية التي تعيش على وقعها المنطقة العربية بظلالها على العديد من دول المنطقة وبأوجه مُختلفة وكان للسودان نصيبٌ في ذلك، حيث قامت الخرطوم بقطع علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية مع إيران، واتّجهت نحو تصحيح مسار علاقاتها مع السعودية وبقية دول الخليج التي تفاعلت مع هذا الخيار ووفّرت مُقومات نجاح هذا المسار لا سيما في ظل تنامي الخطر الإيراني في الفترة الأخيرة.

زيارة لموقع السفارة

توجّهت (التيّار) أمس الثلاثاء إلى حي المقرن، حيث تُوجد سفارة جمهورية إيران الإسلامية، والطريق الذي تقع فيه السفارة لا يوحي إليك البتة بأن هذه المنطقة فيها سفارة لدولة كبيرة مثل إيران، والثابت في المقار الدبلوماسية كثرة الوجود الشرطي والأمني للمؤسسة، وهنا يعم هدوء تام أمام موقع السفارة، سوى بعض الشباب ينزوون تحت شجرة ضخمة يحتسون الشاي، واللافت للنظر أنّ في جنبات السفارة تكثر النفايات والأكياس المتطايرة هنا وهنا مما يُؤكِّد أنّ السفارة لم تعد تُمارس مهامها، وهذا ما أبانه أحد المصادر بالقرب من السفارة بعد أن استنطقته (الصحيفة) حول موضوع

السفارة، حيث قال إنّها مغلقة منذ أكثر من خمسة أشهر، وهذا بسبب تقارب حكومة الخرطوم مع حكومات دول الخليج وهما العدو اللدود لدولة الفقيه، وعندما حاولت أن أصوِّر اعترض المصدر بشدة على هذا العمل..!

تحجيم المد الشيعي

الباحث في شؤون الجماعات الإسلامية د. مُحمّد خليفة صديق يقول لـ(التيَّار)، إنّ الحكومة ظلت طوال الفترة الماضية تحاول وقف التمدد الشيعي بالسودان باعتبار أن طهران في السابق كان لَديها مستشارية ثقافية تُحاول من خلالها نشر التشيع بالبلاد من خلال عقد المحاضرات ونشر الكتب وزيارة بعض الجماعات لنشر أفكارها في مُحاولة منها لتعظيم الوجود الشيعي، ويضيف بأن المستشارية الثقافية الإيرانية التي تم إغلاقها كان بمباركة جميع الطوائف الدينية، والتي كانت تريد اختراق أفريقيا عبر السودان، كما تريد أيضاً التمدد في الدول العربية، وصرفت طهران موارد كبيرة في بث أفكارها السامة، ما حدث الآن هو ذروة الطلاق بالثلاثة بين إيران والسودان، ويعتقد خليفة أنّ القرار ربما صدر من الجهات المعنية على خلفية قيام السفارة بمهام تشيعية مشبوهة خارج نطاق مهامها.

التقارب بين الخرطوم والرياض

ويُشير الباحث إلى أنّ التقارب بين الخرطوم والرياض مؤخراً سبب رئيس في المقاطعة مع طهران، ويتابع: «السودان مصلحته واضحة من خلال هذا القرار بناءً على حيثيات أخذها، ولأن السفارة ظلّت تقوم بأدوار مشبوهة في محاولة لاختراق المجتمع السوداني الخطوة التي حدثت بتشميع السفارة بالشمع الأحمر وهذا يشير لبيان وقوع الطلاق البائن»، كما لا توجد نية لعودة العلاقات بين البلدين التي تمت مُقاطعتها بالكامل من السودان والبحرين والسعودية، بينما دول الخليج لم تبعد التمثيل الدبلوماسي مع إيران، ويؤكد محمد خليفة ان قرارات الحكومة الصائبة جاءت في وقت كان فيه حزب الله يحاول اختراق السودان عبر التمدد الشيعي الإيراني، ويزيد محدثي بأنه ما زال هناك تمدد شيعي مما يتطلب من الحكومة متابعة الوضع لقطع الطريق أمام الخلايا الشيعية النائمة والتي تعمل في الخفاء ويجب منع تمددها، كما حث السلطات بمتابعة هذه الجيوب للتصدي لمخاطرها.

وجهات نظر مُختلفة

واختلف مُحلِّلون سياسيُّون حول تداعيات وأسباب قطع الخرطوم علاقتها مع طَهران وتَقَارُبها مع المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي، ورأى مختصون أن تحول السياسة الخارجية «سلباً» تجاه إيران جاء بعد زيادة الاهتمام السعودي بالشؤون السودانية، الأمر الذي سيعيد الخرطوم لـعُمقها العربي وسيؤثر على «نفوذ» طهران في منطقة القرن الأفريقي والبحر الأحمر، ويعتقد آخرون أنّ قطع العلاقات بين إيران والسودان يرجع لحاجتها لدعم مالي في ظل تردي الأوضاع الاقتصادية فيها بعد انفصال دولة جنوب السودان.

علاقة سطحية

ويقول الأكاديمي د. عبد الوهاب الأفندي، رئيس برنامج العلوم السياسية في معهد الدوحة للدراسات العليا في حديث بثه موقع «وكالة الأناضول» إنّ «العلاقات السودانية مع إيران سطحية إلى حد كبير، وكانت تأتي ضمن مساعٍ سُودانية لاستدراج الدعم الإيراني لتلبية متطلبات الحروب المتعددة التي تخوضها»، ويضيف الأفندي أنّ التغيير في علاقات البلدين لم يكن ناتجاً عن تحولات في السياسة السودانية، إنّما عن تحولات في سياسة السعودية ودول الخليج التي كانت ترفض أيّ بادرة تقارب مع السودان حتى قبيل حرب اليمن، ورأى أن فرضية وجود علاقات استراتيجية بين السودان وإيران لسعي الأخيرة للسيطرة على باب المندب خاطئة. ومما يدلل على «سطحية العلاقة» السودانية الإيرانية كما يرى الأفندي، أنّ الخرطوم كَانت تَحصل على دعم اقتصادي من الصين في الغالب.

عودة تاريخية

العلاقات السودانية الإيرانية سارت منذ استقلال السودان عام ١٩٥٤ حتى الآن سيراً طبيعياً باستثناء حقبة الثمانينات التي أيّدت فيها السودان العراق في حربه إيران. والمُلاحظ على هذه العلاقة أنّها متينة في شقها السياسي هشّة في بُعدها الاقتصادي والثقافي.

وساءت علاقة إيران بالسودان إثر تأييد الأخير للعراق في حربه إيران، ولم تتحسّن هذه العلاقة إلا بعد الإطاحة بنظام حكم الرئيس جعفر النميري في أبريل ١٩٨٥، ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن والخط البياني لعلاقات البلدين ما بين التصاعد والتنازل.

بدأ الجليد يذوب بين إيران والسودان بعد تولي الصادق المهدي رئاسة الحكومة عقب انتخابات عام ١٩٨٦ وتكللت جهود البلدين لتطوير العلاقات بينهما بزيارة المهدي لطهران والتي كان من نتائجها عودة العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين البلدين.

واستمرت العلاقة في التحسن والتطور وزادت الروابط بينهما عمقا ومتانة عقب انقلاب - الذي تولى الحكم انقلاب الإنقاذ في العام ١٩٨٩ - وكان من مظاهر هذا التحسن الزيارات المتبادلة على كل المستويات السياسية، فزار الرئيسان الإيرانيان هاشمي رفسنجاني ومن بعده محمد خاتمي الخرطوم ورد لهما الرئيس عمر البشير الزيارة في مرات عدة متتالية.

ومما ساعد كذلك على تحسين العلاقة، الدور الذي قامت به إيران لتقريب وجهات النظر وحل الخلافات بين السُّودان وبعض جيرانه من الدول الأفريقية مثل أريتريا ويوغندا، وهو الدور الذي نشط في القيام به الرئيس الإيراني وقتها هاشمي رفسنجاني.

العلاقات الاقتصادية

هذا على المُستوى السياسي، أما على المُستوى الاقتصادي، فإنّ العلاقات التجارية بين البلدين لا تتناسب مع مُستوى تطور العلاقات السياسية بينهما - كما ذكر في حديث سابق المستشار التجاري في السفارة السودانية بطهران عبد الرحمن خليل - إذ لا يتعدى حجم التبادل التجاري بينهما ١٥٠ مليون دولار سنوياً.

والأسباب التي تقف وراء هذا الضعف البادي في العلاقات الاقتصادية والتجارية تكمن – كما يقول خليل - في عدم معرفة رجال الأعمال في كلا البلدين بمتطلبات السوق في كل منهما، وعدم الإلمام الكافي بما تنتجه كل دولة ويُمكن أن يستفيد منه المستهلك فيهما، كذلك يرجع السبب إلى عدم وجود خُطوط نقل مُباشر بين البلدين حيث لا يوجد حتى الآن خط بحري ولا جوي بينهما، فلابد أن يمر الراكب السوداني الذي يريد أن يذهب لإيران بالبحرين أو الإمارات أو سوريا.

طرد السفير الإيراني

وفي الرابع من يناير الماضي طرد السودان، السفير الإيراني لديه وكامل البعثة، واستدعى سفيره من إيران، وذلك بسبب تدخلات طهران في المنطقة والاعتداءات التي تعرضت لها سفارة وقنصلية السعودية لديها.

وأبلغ وقتها المدير العام لمكتب رئيس الجمهورية الفريق طه عثمان، ولي ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان قرار الطرد، مؤكّداً إدانة السودان للتدخلات الإيرانية في المنطقة، وعبّر وفق «وكالة الأنباء السعودية» (واس)، عن وقوف الخرطوم وتضامنها مع المملكة في مُواجهتها للإرهاب وتنفيذ الإجراءات الرادعة له.

وتنظر السعودية إلى السودان باعتباره «بوابة مشروعها الاستراتيجي في القرن الأفريقي والبحر الأحمر وحلقة الوصل بين الدول العربية وشرق أفريقيا»، كما تصف الرياض مشاركة جنود سودانيين بالقتال في اليمن بأنه «دفاع عن عروبة اليمن، وتلاحم مصيري مع السعودية في مواجهة النفوذ الإيراني».

طبيعة الاختراق الإيراني لتركيا... معالم النفوذ ومخاطر التأثير

علي حسين باكير – مجلة البيان ٢٠١٣/١/٧

تشهد العلاقات التركية - الإيرانية تدهوراً سريعاً منذ اندلاع الثورة السورية في مارس من العام ٢٠١١، بعدما عرفت صعوداً خلال بداية فترة حكم حزب العدالة والتنمية. ويشوب هذه العلاقة حالياً نوع من التشنج والحذر المتبادل رغم الجهود التركية لاحتواء الخلاف المتفاقم بين الطرفين حول مجموعة واسعة من المواضيع: من الملف الاقتصادي، إلى النفط والغاز، إلى ملف حزب العمال الكردستاني، إلى السياسة الإيرانية في العراق والمنطقة، وأخيراً وليس آخراً إلى موقف النظام الإيراني ممّا يجري في سورية.

خلال المرحلة السابقة دفعت تركيا فاتورة كبيرة بوقوفها أمام الغرب عندما أرادت الوصول إلى تفاهم عادل يحفظ للإيرانيين حقوقهم في الملف النووي ويجنّب طهران والمنطقة مزيداً من التأزّم، كما أدّت دوراً كبيراً في كسر حاجز العقوبات الذي يعمل على تآكل الاقتصاد الإيراني والدفع به نحو الانهيار؛ رغم الضغوط الكبيرة التي تعرضت لها من الولايات المتحدة والغرب، ناهيك عن الحملات الإسرائيلية التي كانت قد بدأت تستهدف تركيا إعلامياً واقتصادياً وسياسياً، وحتى عسكرياً؛ عبر الاعتداء على «أسطول الحرية» أو عبر إقامة تحالفات جديدة مع اليونان وقبرص اليونانية.

كيف قابلت إيران كلّ هذا الجهد التركي في أوّل اختبار حقيقي لنيّاتها؟ بدأت طهران باتهام تركيا بأنها مشاركة في مؤامرة للإطاحة بالنظام السوري وبأنها ذراع الغرب في المنطقة، وبدأنا نسمع بشكل مكثّف عن أطماع تركيا، ثم شرعت مختلف القيادات السياسية والعسكرية الإيرانية في توجيه تهديدات لأنقرة، لا بل إنّ طهران شرعت في التحرّك داخل تركيا وتوظيف عديد من الجهات للضغط على الحكومة، مستغلة المساحة التي تتيحها الديمقراطية والحرية في التعبير للتشويش على الرأي العام، كما استخدمت بعض الجهات الإقليمية الخاضعة لنفوذها وتأثيرها لمهاجمة تركيا وانتقادها.

ولحسن حظ الأتراك فإنّ هذا الاختبار كشف لهم عن التوجّه الحقيقي لإيران، في الوقت الذي كانت فيه شريحة لا بأس بها تعتقد أنّ طهران مخلصة وصادقة في علاقاتها مع تركيا؛ إذ تبيّن لهم فيما بعد أنّ النظام الإيراني لا يمكن الوثوق به، خصوصاً أنه لا يفوّت أي فرصة ليستثمرها في نشر حالة عدم الاستقرار الإقليمي، والتسبّب أيضاً في شروخ عميقة اجتماعية وطائفية وسياسية في المنطقة، ناهيك عن أنّ جهود التخريب هذه بدأت تصِل إلى الداخل التركي، وهو ما ساعد في تسليط الضوء على الخطر الإيراني.

هذه الخلاصة هي نتيجة نقاش بدأ يطفو على السطح في تركيا، ويقوده عدد من الكتّاب والباحثين والإعلاميين، حتى بعض الشخصيات الرسمية المعروفة والمحسوبة على الحكومة. ويُعتبر بولنت كينيش، أستاذ العلاقات الدولية وصاحب كتاب «إيران: تهديد أو فرصة؟»، واحداً من هؤلاء.

يقول «كينيش»، المتخصّص بالشأن الإيراني والمحرّر المسؤول في صحيفة «زمان» التركية الواسعة الانتشار؛ إنّ «هناك جهوداً إيرانية حثيثة تُبذل لاختراق المجتمع التركي لغاية التمدّد الشيعي الحاصل أخيراً في المنطقة، وهو ما يمثل تهديداً حقيقياً لتركيا». ويضيف: «لقد اتّسعت دائرة الحديث عن هذا التهديد أخيراً، لكن ما يجب ملاحظته هو أنّ هذا التهديد مختلف عن التهديدات الأخرى للإمبريالية الأمريكية أو التأثير الإسرائيلي، لكونه مقنّعاً ومختبئاً ويعمل في البنى التحتية، ويَدّعي أنه صديق».

وأمام هذه الصفات يشير كينيش إلى وجود إشكاليتين، «الأولى تكمن في ارتفاع تأثير هذا النفوذ الإيراني لأنه غير مرئي بالنسبة إلى العامة من الناس،

والثانية في عدم القدرة على التأهّب والاستعداد لمواجهته نظراً إلى طبيعته وخصائصه المذكورة أعلاه».

النفوذ الإيراني داخل تركيا شبيه إلى حدّ ما في تركيبته بالنفوذ الإيراني داخل الدول العربية، وإن بقدرة تأثير وتخريب أقل، لا سيما من الناحية المذهبية، لكن ذلك لا ينفي أنّ لإيران مصادرَ يمكن الاعتماد عليها في تركيا وتوظيفها لخدمة المصالح الإيرانية أو للإضرار بالمصالح التركية نفسها.

من إيجابيات الأزمة السورية رغم كل التحديات التي فرضتها على تركيا، أنّها كشفت طبيعة النفوذ الإيراني في الداخل التركي بشكل غير مسبوق؛ إن من حيث المفاهيم والآليات والأدوات، وإن من حيث أنصار النظام الإيراني على الساحة التركية. وقد تبيّن أنّ هؤلاء ليسوا محصورين في إطار واحد أو تحت يافطة أو تجمّع واحد. حتى الحزب الحاكم مخترق بعناصر متعاطفة مع إيران إن لم تكن مؤيدة لها عموماً، وهو ما يعني أنّ إيران كانت حريصة طيلة الفترة الماضية على الاستثمار في الداخل التركي في أكثر من مجال: في الإعلام، في الاقتصاد، في السياحة، وحتى في دعم الأقليات الطائفية في تركيا.

الاختراق الإعلامي والتأثير على الرأي العام:

بعدما كان الحديث عن الموضوع يقتصر غالباً على مناقشات خلف الأبواب المغلقة وفي إطار محدود وضيق منعاً لإثارة أي حساسيات؛ بدأت بعض الجهات التركية تشكو من نشاط اللوبي الإيراني في تركيا، وذلك بشكل علني للمرة الأولى. فتسارع الأحداث الإقليمية، وتضارب رؤى وبرامج البلدين إقليمياً، واشتعال الثورة في سورية؛ كل ذلك سرّع من المحاولات الإيرانية للتصدي لموقف تركيا أو إثارة المشاكل لها على الأقل في عدد من المواقع والبلدان الإقليمية، والأهم في قلب تركيا من الداخل.

ولا تختلف طريقة عمل اللوبي الإيراني المتخصص في التأثير على الرأي العام في تركيا - والذي يضمّ عادة أفراداً أو مؤسسات أو جماعات موالية لإيران - عن طريقة عمله في الدول العربية، وإن كان لإيران نفوذ أكبر وأوسع وأكثر تأثيراً في العالم العربي عنه في أنقرة، حيث يصار عادة إلى تجيير طاقات عمل هذا اللوبي لدعم المصالح الإيرانية أينما وجدت في المنطقة، وفي حالتنا هذه دعم النظام السوري.

وتعتمد طريقة العمل الإيرانية في هذا المجال على ثلاثة مداخل رئيسية:

- الأقليات الطائفية المرتبطة بإيران عقائدياً أو سياسياً، وغالباً في هذه الحالة الأقليات الشيعية والعلوية.
- التيارات المتعاطفة مع النموذج الإيراني، سواءً من الناحية الثورية أو من الناحية الدينية، والتي باستطاعتها أن تخدم الأجندة الإيرانية في البلد المستهدف، أو تغطي على الطابع الطائفي للعنصر الأول، سواء كانت إعلامية أو ثقافية أو حزبية أو أكاديمية، وغالباً ما تكون سنيّة في هذه الحالة.
- وأخيراً هناك المدخل المالي الذي يتم من خلاله شراء ذمم ضعاف النفوس أو الذين عادة ما يقومون بعرض ولائهم مقابل أتعاب مالية أو خدمات أخرى.

ويضمّ هذا اللوبي صحفيين وإعلاميين ومثقفين وسياسيين أيضاً، كما يضم إلى جهده المجموعات التي لها تقاطع مصالح أو تخاصم حزب العدالة والتنمية. ويستهدف هذا اللوبي مؤخراً التأثير على الرأي العام التركي، وهو فاعل في هذا المجال، حيث تستطيع أن تجد سيلاً من المقالات والتقارير التي يكتبها المحسوبون على هذا اللوبي في الإعلام التركي.

ولا يقتصر عمل هذا اللوبي على بثّ الروايات التي تساند النظام السوري، بل إنّ عمله يستهدف القرار السياسي للحكومة التركية أيضاً.. وهو إن لم يحقق كل أهدافه، إلا أنه نجح على ما يبدو في إرباك المبادرات التركية الداعمة للثورة السورية، أو التشويش عليها، بحيث يعرقل عملها أو يصدّها.ومن المفارقات أنّ الأحزاب العلمانية التركية التي كانت تتهم حزب العدالة والتنمية باستمرار بأنه يحوّل البلاد إلى إيران أخرى؛ أصبحت تصطف مع النظامين السوري والإيراني لدوافع تتعلق بالسياسة المحلية التركية وبالخصوصة مع حزب العدالة والتنمية.

ويَعـدّ المحلـل التركـي جـوك هـان باجيـك أنّـه مـن المفارقات أن نلاحظ تأثير النفوذ الإيراني على تركيا بما في ذلك على السياسة الداخلية في البلاد، في الوقت الذي يكـاد فيـه التـأثير التركـي يكـون منعـدماً علـى إيـران. ورغم وجود أقلية أذرية تركية كبيرة جداً في إيران، إلا أنّ التأثير التركي عليها محدود، كما أنّه من النادر جداً أن تجـد تـأثيراً تركيـاً علـى المـثقفين أو الإعلامـيين أو الأكاديميين الإيرانيين.ويضيف باجيك: «لا يجب أن نهمل القوة المالية لهذا اللوبي، فهناك أكثر من ١٠٠٠ شركة تركية يملكها إيرانيون في تركيا، وهي مرتبطة أيضاً بشبكة من الخدمات الاجتماعية والسياسية غير الرسمية التي تعمل على التأثير في الطرف المتلقي في الوقت الذي لا يوجد فيه لتركيا شيء مماثل في إيران».

الاختراق الاقتصادي:

من المعلوم أنّ إيران تعاني مؤخراً مصاعب اقتصادية ضخمة جداً هـي الأكبر ربمـا منـذ الحرب الإيرانيـة - العراقية، ويلاحظ أنّ سلسلة العقوبات المفروضة عليها عـام ٢٠١٢ لا تـشبه أيّـاً مـن مثيلاتهـا الـتي فرضـت عليهـا سابقاً؛ فقد انخفض إنتاج طهران من النفط بنحو مليون برميـل يوميّـاً عمّـا كـان يـتمّ سـابقاً، كـذلك انخفضـت عائدات النفط بنحو ٧ مليارات دولار شهريّاً مقارنة بعام ٢٠١١. وقد ألهبت هذه العقوبات الضغوط الداخلية، حيث ارتفعت أسعار السلع وانخفضت قيمة العملة (الريال)، والذي فقد نحو ٨٠ في المائة من قيمته خلال عام واحد فقط.

ونظراً إلى هـذه المصاعب، تبحـث إيـران في يـأس عـن منافـذ جديـدة تـستطيع مـن خلالهـا الالتفـاف علـى هـذه العقوبات، أو التقليل من وطأتها على الأقل؛ نظراً إلى أن الالتفاف عليها أصبح في غاية الصعوبة. وفي هـذا المجـال، لاحظــت تقــارير تركيــة عــدة لجــوء إيــران إلى أنقــرة للتخفيف عن الضغط الاقتصادي الداخلي الذي بدأ يولّد مــشاكل اجتماعيــة خطــيرة وصــدامات مــع عــدد مــن الطبقات الاجتماعية والتجّار أنفسهم.

وفي هـذا الـصدد، كـشف تقريـر صـادر عـن اتحـاد الغرف التركيّة أنّ ١٧ في المائة من الشركات (٤٤ من أصل ٢٥٣) التي أُسّست في تركيا خلال أيلول ٢٠١٢ لوحده فقط؛ تبيّن أنّها مموّلة من إيران، وهي المرة التاسعة على التوالي التي تحتل فيها طهران لائحة الصدارة فيما يتعلق بالجهات التي تؤسس شركات داخل تركيا.

فقد شهد عدد المؤسسات التي تم إنشاؤها في تركيا بدعم إيراني، ارتفاعاً سريعاً منذ بداية عام ٢٠١٢، وبلغ عددها ٦٥١ شركة، لتتفوق بذلك على ألمانيا وروسيا وأذربيجان بواقع ٢٥٢ للأولى، و١٢٦ لكلّ من روسيا وأذربيجان، علماً أنّ عدد المؤسّسات الإيرانية بلغ عام ٢٠١١ نحو ٢١٤٠ شركة، بزيادة بلغت نحو ٤٠ في المائة عن عددها عام ٢٠١٠.

وتثير هذه النشاطات الاقتصادية الإيرانية قلقاً لدى أوساط مختلفة من الطيف التركي؛ من سياسيين واقتصاديين، خصوصاً أنّها تركّز على القطاعات الاستراتيجية المهمّة، ومعلوم أنّ مفاتيح الشركات الاقتصادية الإيرانية يديرها الحرس الثوري الإيراني، فمعظم النشاط الاقتصادي الإيراني يركّز في تركيا على قطاع الطاقة والاتصالات والبناء.

لكن لوحظ أيضاً، ومع اشتداد العقوبات على إيران، حصول نقلة في التركيز على هذه القطاعات إلى قطاعات أخرى يأتي في طليعتها قطاع الصيرفة والمال وقطاع المعادن والذهب، علماً أنّ صادرات الذهب التركية إلى إيران ارتفعت بشكل هائل خلال الأشهر السبعة الأولى من العام ٢٠١٢ لتبلغ ٦ مليارات دولار، ولتشكّل زهاء ٧٥ في المائة من قيمة السلع التركية المصدّرة إلى إيران خلال تلك الفترة.

وتخشى أوساط تركية من أن يؤدّي هذا الاختراق الإيراني للاقتصاد التركي إلى زيادة المشاكل الداخلية، على اعتبار أنّه يزيد من النفوذ السياسي لإيران وكلّ من يرتبط بها عبر هذه المؤسّسات والشركات التي تقيم معها عادة شبكة من المنتفعين، ويتمّ من خلالها تمويل عدد من الجهات المشبوهة داخل البلاد، خصوصاً في هذه المرحلة الصعبة والحرجة التي تشتبك فيها الحكومة التركية مع

النظام السوري، ناهيك عن موضوع خرق العقوبات الدولية والعقوبات المفروضة من قبل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، حيث من الممكن أن يؤدّي التوسّع الإيراني في الاقتصاد التركي والالتفاف على العقوبات الدولية، إلى مواجهة غير مطلوبة بين أنقرة وكلّ من حلفائها الغربيين؛ واشنطن والاتحاد الأوروبي.

الاختراق الأمني:

في آب (أغسطس) من العام ٢٠١٢، كشف جهاز مكافحة التجسس التابع للشرطة التركية شبكات تجسس إيرانية تعمل داخل الأراضي التركية، ولم يتم الاكتفاء بنشر بعض الصور عن اعتقال هؤلاء الجواسيس، وعن بعض الاجتماعات التي تم عقدها بينهم وبين مشغليهم الإيرانيين، إذ تم في بداية شهر أيلول تسريب تسجيلات فيديو إلى إحدى القنوات التركية التي بثّتها بدورها لتثبت مدى حجم المؤامرة وخطورتها على الأمن القومي التركي.

فشبكات التجسس الإيرانية كانت تعمل بتوجيهات ومطالب من الجهات الرسمية الإيرانية للتخطيط والتنفيذ لعمليات تزعزع الأمن والاستقرار التركي، وذلك عبر العمل على رصد منشآت حكومية استراتيجية وعسكرية من أجل استهدافها، إضافة إلى التنسيق مع حزب العمال الكردستاني واستيقاء المعلومات منه حول عديد من المواقع العسكرية والمدنية التركية المهمة، إضافة إلى واقع بعض المدن والبلدات على الحدود مع إيران وقدرات الجيش التركي، لا سيما الجويّة؛ مقابل حصوله على مساعدات لوجستية تمكّنه من استهداف القوات التركية.

الكشف عن هذه الشبكة جاء بعدما ألقت السلطات التركية القبض على إيرانيين اثنين ومواطن تركي في منتصف شهر آب الماضي وعُثر معهم على معلومات وصور أرشيف إلكتروني يحتوي على عناصر تمسّ أمن الدولة التركية. وقد تبين أنّ هذه الشبكة لم تكن الوحيدة، إذ تمّ إلقاء القبض على جاسوس إيراني كان ينسّق مع حزب العمّال الكردستاني، وقد اعترف أنّه عضو في الحرس الثوري الإيراني، وقد قاد ذلك إلى إلقاء القبض على ٩ آخرين بينهم مواطنان إيرانيان.

وفقاً لوكالة الاستخبارات التركية، فإن إيران أرسلت أكثر من ١٠٠ جاسوس متدربين بشكل احترافي عالٍ جدّاً ويعملون بأغطية متنوعة؛ كصحافيين وأعضاء في السفارة الإيرانية. ويعتقد أنّ الموقف التركي من النظام السوري واختلاف المصالح بين أنقرة وطهران حول هذا الموضوع؛ أدى إلى إيقاظ الخلايا الإيرانية النائمة التي كان عملها يتوزع على ثلاثة محاور رئيسية:

- محور يتعلق بدعم إرهاب حزب العمال الكردستاني تجاه تركيا وإثارة القلاقل والاضطرابات في شرق البلاد حيث الوجود الكردي الكثيف.
- محور يتركز على جمع المعلومات تحضيراً لاستهداف مصالح أمريكية وغربية حال تصاعد الأزمة في سورية أو حيال البرنامج النووي الإيراني.
- ومحور يتعلق بإرسال معلومات وتفاصيل عن اللاجئين السوريين والمعارضة السورية في تركيا.

لم تكتفِ إيران بقطع التعاون مع الأتراك فيما يتعلق بمكافحة حزب العمال الكردستاني، بل انتقلت إلى العمل معه أيضاً ضد تركيا! يقارن المحلل التركي كريم بالجي بين إيران وإسرائيل فيقول «إنّ الإيرانيين كانوا دائماً جيدين في عمليات التجسس، وإنّ كلا الدولتين تتميزان فيما يتعلق بالشغف في جمع المعلومات خارج حدودهما، بغض النظر عما إذا كانوا سيستخدمون هذه المعلومات أو لا، يوظفونها أو لا، يحتاجون إليها الآن أو لا».

الكشف عن وجود ١٠٠ جاسوس إيراني يعملون بشكل فاعل على الأراضي التركية، أثار دهشة الجميع وفاجأهم بشكل لا يقبل الشك، لكنّه أعطى مؤشراً في نفس الوقت على أنّ هذا الرقم قد يكون قمّة جبل الجليد فقط.يقول بالجي: «منذ عهد الحشاشين حتى اليوم تنخرط الحركات الشيعية في عمليات جمع المعلومات واستخدام المعلومات لاكتساب القوة أو الابتزاز أو لاختراق المجموعات التي يرون أنّها تشكل تهديداً لهم. المشكلة في شبكات التجسس هذه أنّها مرتبطة مع عمل بروبجندا الملالي والمؤسسات المالية التابعة للباسيج

والحرس الثوري فيما يعرف بالدولة العميقة في إيران. وأدعي أنّ هناك نسبة ١ إلى عشرة بين الجواسيس والملالي و١ إلى عشرة بين الملالي ورجال الأعمال المرتبطين بالباسيج في كل الدول التي يعمل فيها الإيرانيون في المنطقة، وهي النسبة المتعارف عليها التي يجب أن تتوافر لدى أي دولة توسعية بمذهب توسعي وهوية توسعية حتى تتجح».

وعليه؛ فإذا كان هناك ١٠٠ جاسوس إيراني يعمل لصالح طهران في تركيا، فإنّ هذه المعادلة تفترض أن يكون هناك ١٠٠٠ ملّا شيعي معمم و١٠٠٠٠ رجل أعمال مرتبط بالمؤسسات المالية للحرس الثوري. ولعل هذا ما يفسّر الارتفاع الهائل في عدد المؤسسات الإيرانية التي تم افتتاحها في تركيا خلال العشر سنوات الماضية.

الاختراق المذهبي الطائفي:

تاريخياً؛ وضع علويو تركيا الذين يمثلون ما بين ٥ ملايين إلى ١٠ ملايين مواطن على أقصى تقدير من إجمالي عدد المواطنين ذي الغالبية السنيّة؛ مسافة بينهم وبين العلويين في الدول المجاورة، كما أنّهم ركّزوا على الجانب العلماني وليس الديني. لكن ما إن اندلعت الثورة السورية حتى بدأت بعض الجهات تعمل على تجييشهم في إطار حملة دعم النظام السوري، حيث شهدت إسطنبول بداية عام ٢٠١٢ على سبيل المثال توزيع عدد من المنشورات تحثهم على دعم النظام السوري.

ورغم أنّ هذه التحركات ليست على مستوى كبير بل ما دون الصغير، إلا أنها تحمل رسائل في مضامينها.. وبدا أنّ خطاباً داخلياً لدى بعض الجهات في الأقلية العلوية التركية على سبيل المثال، بدأ يتفاعل مع السياسة الإيرانية والدعاية الرسمية للنظام السوري؛ فالروايات حول ما يجري في سورية بالنسبة لهم واحدة، وهي مطابقة لما يقوله بعض النافذين في صفوف الحركات أو الأحزاب أو التجمعات الشيعية التابعة أو المتأثرة بالنفوذ الإيراني في العالم العربي؛ كتصريحات نصر الله في ذلك الوقت، وجلّ رواياتهم تقول إنّ «لا شيء يجري في سورية، وإن هناك بضعة إرهابيين يعكّرون صفو الأمن والاستقرار في البلاد ويمنعون الرئيس الأسد من المضي قدماً في الإصلاحات، وعدا عن ذلك فالحياة طبيعية والناس تخرج وتتفسح»!

يقول علي بيرال، رئيس جمعية أهل البيت في هاتاي – تركيا: «نحن نعرف تماماً أنّه لا تجري أي عمليات قمع في سورية، طبعاً هناك بعض المشاكل الصغيرة، لكن يجب إعطاء نظام الرئيس الأسد الوقت اللازم لتطبيق الإصلاحات الديمقراطية، فالملايين تقف في صفّه». ونستطيع من خلال المقارنة أن نرى مدى التقارب الشديد على سبيل المثال بين هذا التصريح وبين ما صرح به أمين عام «حزب الله» حسن نصر الله آنذاك من أن لا شيء يجري في حمص!

اختراق أمن الطاقة:

لا تتورع إيران عن استخدام الاقتصاد في الألعاب السياسية الإيرانية المعهودة للضغط والابتزاز؛ فعلى سبيل المثال: بلغ حجم التبادل التجاري بين تركيا وإيران عام ٢٠١٠ نحو ١٠,٧ مليار دولار، منها ٣ مليارات دولار صادرات بضائع تركية إلى طهران، والبقية في أغلبها واردات نفط وغاز منها. أما في عام ٢٠١١، فقد بلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين نحو ١٦ مليار دولار، تدفع تركيا منها نحو ١٢,٥ مليار دولار ثمن الواردات من النفط والغاز، علماً أنّ إيران تبيعه لأنقرة بأسعار أغلى بكثير من سعر السوق! وهو ما يزيد الهوّة في عجز الحساب الجاري في تركيا، ناهيك عن استخدام الغاز والنفط الإيرانيين للابتزاز، كأن يتمّ قطعه في أوقات حرجة بالنسبة إلى الداخل التركي، أو في أوقات تتعلق بمسائل سياسية.. إذ تبيع طهران الغاز لأنقرة بسعر يفوق سعر السوق بكثير، إذ تشتري تركيا على سبيل المثال المتر المكعب الواحد من الغاز من أذربيجان بسعر ٣٣٠ دولاراً، وتدفع لروسيا نحو ٤٠٠ دولار للمتر المكعب الواحد، وهو السعر الذي يتطابق مع سعر السوق العالمية، أما إيران فتبيع تركيا المتر المكعب الواحد من الغاز بقيمة ٥٠٥ دولارات! وهو الأمر الذي دفع أنقرة إلى اللجوء للمحاكم الدولية للبَتّ في القضية أمام تعنّت الإيرانيين

في تعديل السعر.

إضافة إلى مشكلة السعر وإمكانية استخدام الابتزاز عبر قطع الإمدادات الإيرانية خلال فصل الشتاء (وهو ما تكرر عدة مرات)؛ تعتمد أنقرة على دولتين بشكل شبه كامل فيما يتعلق بإمدادات الطاقة من الغاز والنفط، هما روسيا وإيران، وهو ما يعدّ اختراقاً كبيراً لأمن الطاقة لديها، إذ من الممكن أن يؤثّر على خيارات البلاد الاستراتيجية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

وإدراكاً منها لهذه المخاطر، تشرع الحكومة التركية، على ما يبدو، في العمل بشكل هادئ ومن دون ضجيج للابتعاد عن إيران شيئاً فشيئاً فيما يتعلق بالاعتماد على السلع الاستراتيجية؛ فخلال العام الماضي نجحت تركيا في رفع عدد الدول التي تستورد منها النفط من ١١ إلى ١٨، والغاز من ٥ إلى ٩، مع توجّه لزيادة التنويع مستقبلاً، إذ قرّرت شركة «توبراش» التركية على سبيل المثال عام ٢٠١٢، أكبر مستورد للنفط في البلاد؛ إبلاغ الإيرانيين بأنها ستخفض وارداتها من إيران بنسبة ٢٠ في المائة، مقابل رفع حجم الواردات النفطية من ليبيا بحصّة تساوي نحو ١٢ في المائة ممّا تستورده تركيا من إيران، وذلك بموازاة محادثات لرفع نسبة ما تستورده أيضاً من السعودية والعراق.

خلاصة:

قد تمتلك إيران القدرة الآن أو لاحقاً على تقليص تعاونها الاقتصادي وقطع إمدادات الغاز عن تركيا، والحد من تدفّق السياح الإيرانيين، ومنع أنقرة من استخدام الممر الإيراني لإيصال الشاحنات التركية إلى وسط آسيا؛ لكن هذه المخاطر لا تعد أكبر هواجس تركيا من طهران، فالأهم من كل ذلك قدرة إيران على خلق مشاكل لتركيا على الصعيد الأمني الداخلي والإقليمي، خصوصاً فيما يتعلق بقدرة طهران على القيام بعمليات أمنية تضليلية منظّمة في الداخل التركي، أو استعمال المنظمات الإرهابية على سبيل المثال كحزب العمال الكردستاني، وهو أسلوب درجت إيران على استخدامه مع عديد من الدول العربية.

الأهداف المخفية لمقاطع الفيديو الإرهابية

موفق الخطاب – صحيفة الوطن البحرينية ٢٠١٦/١٢/٢٦

نستلم يومياً عن طريق أجهزتنا الذكية وعبر مواقع التواصل الاجتماعي العشرات من مقاطع الفيديو، وأخطرها تلك التي تروج لنهج القتلة والإرهابيين. وبدون تروٍّ وتفكير يساهم البعض في ترويج تلك المقاطع ليقدم خدمة دون وعي بنشر أفكارهم وسمومهم وسط المجتمع وبالمجان.

لكن هل فكر أحدنا يوماً من هي الجهة القائمة على إنتاج وتسويق هذه المقاطع ومن يتحمل كلفتها الباهظة؟

وربما بعضها فيه من المغامرة والمخاطر ما لا يحمد عقباه، والتي تصعب على الأشخاص العاديين وغير المدربين مسبقاً بإتقانها والتعامل مع الأجهزة ذات التقنية العالية من أرقى الكاميرات وقد لا تمتلكها دول ولا مؤسسات إعلامية عريقة لتغطي المقطع ذي الثواني والدقائق المعدودات من كل جوانبه.

إن أغلب مقاطع الفيديو الإرهابية التي تصلنا عبر الأثير اليوم هي من مناطق النزاع الساخنة وبالتحديد من العراق وسوريا، وهي إما من إنتاج الدوائر الإعلامية لتنظيم «داعش» و«القاعدة» سابقاً، أو هي من إخراج وتنفيذ الميليشيات التي تعمل بإمرة إيران وكلاهما له غاياته الخفية من ترويج تلك المقاطع الإرهابية!!

فلنبحث أولاً عمن تستهدفهم «داعش» من التعمد ببث مقاطعهم الفيديوية بين الحين والآخر، والتي أصبحت معروفة للجميع ويتمثل أغلبها في تصفية الخصوم إما بقطع الرقاب أو الإعدام حرقاً أو غرقاً أو رمياً بالرصاص مع موسيقى وأناشيد تتغنى ببطولاتهم الزائفة والإسلام ونبيه منهم براء.

والغاية منها بث الرعب في قلوب الأفراد والمؤسسات العسكرية للدول التي تتعامل مع ملف الإرهاب، مما يجعل تلك الدول تفكر ألف مرة قبل إرسال جندها أو مراسليها للتلاحم في معارك برية، والتي هي الفيصل في حسم المعركة والقضاء عليهم بل في اكتفائهم بالحرب الجوية والصواريخ عن بعد، مما يطيل من أمد المعركة ويفسح المجال لتمدد الإرهاب ومجاميعه ويفاقم آثاره!!

أما المقاطع التي تسربها الميليشيات الإيرانية وشبيحة بشار الأسد والحوثيون وأنصار «حزب الله» فلها شأن خطير جداً، فقادة تلك الميليشيات ليسوا من الغباء ليسربوا تلك المقاطع التي ربما قد تدينهم في يوم ما، بعد تخلي الحاضن الإيراني أو الدولي عنهم وتضعهم تحت طائلة القانون والملاحقة الدولية، فيتعمد منتجو تلك المقاطع التركيز على الضحية وإخفاء الجلاد وأغلب تلك الانتهاكات تحصل مع مدنيين عزل، فإما هم من علماء الدين أو من النساء أو الأطفال القصر أو ذي الشيبة.

فما الغاية إذن من بث هذه المقاطع وبهذه البشاعة؟

لقد بحثت في هذا الجانب كثيراً وتبين لي أن الهدف من وراء تسريبها فيه سر عظيم ربما غفل عنه الكثير ويتمثل في: «استثارة عاطفة شباب الأمة المتحمس الغيور على حرمة دينه ورموزه وأهله وتأجيج مشاعرهم وإيصالهم إلى حالة الغليان ثم الاستدراج إلى أرض القتال».

وهنالك ربما البسطاء من خطباء المنابر من يزيد الطين بلة ليوصلوا أولئك الشباب المتحمس دون إدراك إلى نقطة اللا عودة، فسرعان ما يتم تنظيمهم سراً بعد ذلك الشحن لتكوين مجاميع تخرج تحت جنح الظلام إما كوفود سياحية أو دينية لتحط في نهاية المطاف في مناطق قريبة من أماكن النزاع، لينخرط بعدها أولئك المساكين وتحت مسمى «الجهاد» وهم غير مؤهلين له إطلاقاً فيقعون في الفخ، فتتلقفهم هنالك مجاميع مهمتها تدريبهم على عجالة ثم زجهم في أتون المحرقة، وبذلك استطاعت تلك المقاطع الشيطانية أن تفعل فعلها في اصطياد شباب الأمة باستدراجهم ثم نحرهم.

حيث كما هو معلوم أن الحرب اليوم مع إيران هي حرب توسعية ولا تكتفي إيران بإدارتها على أرض العراق والشام واليمن وباقي شباب الأمة خارج سيطرتها، علماً بان خيرة شباب العراق وسوريا قد تم تصفيتهم أو تشريدهم أو احتواؤهم خلال العقد الماضي، والخوف القادم هو على شباب هذه الأمة، والذين هم عنوان قوتها وهذه إحدى الوسائل غير المكلفة لاستدراجهم ثم نحرهم وبأقل الجهد والكلف..

فهل وصلت الرسالة يا معشر الشباب؟

فلنكن في أقصى درجات الحذر سادتي في التعامل مع ما تلتقطه أجهزتنا الذكية ولا نكن مطية رخيصة للأعداء لنساهم في قذف شبابنا في المحرقة.

رد على مقال "وكالة فارس": التغلغل التكفيري في فلسطين ومخاطره على القضيّة

موقع الحقيقة – ٢٠١٦/١٢/٢٤

قديما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخوارج حين قالوا: « إن الحكم الا لله» ... كلمة حق أريد بها باطل .. فكثير من الأمور قد تكون حقا لكن يراد من إشاعتها ورفع شعاراتها استغلالها من قبل الباطل فعلى .. سبيل المثال عندما ترفع إيران شعار تحرير فلسطين فهو حق لكن الهدف الإيراني من رفع هذا الشعار هو تمددها العقائدي للدين الشيعي ...

في مقال نشر على صفحة وكالة فارس وقد نسخ من موقع «الوقت» ونشرته كذلك بعض المواقع بعنوان: «التغلغل التكفيري في فلسطين ومخاطره على القضيّة»، وهذا نص من هذا المقال:

«لا شكّ في أن هناك أرضيّة مناسبة لظهور هذا الفكر في فلسطين سواءً بسبب انخراط بعض الفلسطينيين من سكّان سوريا ولبنان في صفوف هذه الجماعات، أو بسبب الفقر التي

تــستغلّه الجماعــات التكفيريــة لجــذب الــشباب العــاطلين عـن العمـل عـبر الخطـاب الحماسـي الــذي تهـواه أذانهــم، وفي حــال حــصلت هكــذا خطــوة، ستعمل هـذه الجماعـات ابتـداءً علـى إيجـاد الـشرخ بـين فـصائل المقاومـة ومحورهـا في سـوريا ولبنـان وإيـران». إ.هـ

صــحيح ان الفكـــر الـــتكفيري الخـــارجي فكـر مـدمر ومـا دخل مجتمعا إلا أشاع فيـه الفتن والخـراب لــذلك كانـت البدعـة الـتي حـذر منهـا الرسـول ﷺ هــو فكـر الخـوارج .. وقـال صـلى الله عليـه وسـل عـنهم: «يقتلـون أهـل الإسـلام ويـدعون أهـل الأوثـان يمرقـون مـن الإسـلام كمـا يمـرق الـسهم مـن الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[1].

لكـن هنالـك تـساؤلاً مهمـا مـن هـو الـتكفيري في نظـر إيـران الـتي تتـشدق بمحاربـة الـتكفيريين ومحاربـة المـنهج الـتكفيري .. إن كـل سـني يـوالي أبـا بكـر وعمـر والـصحابة الكـرام ويقـر بخلافـة أبـي بكـر وتقديمـه علـى كـل الـصحابة ويـرفض ترهـات الـشيعة وخرافـاتهم حـول تأليـه الأئمـة ويـرفض اسـتعباد النـاس باسـم الخمـس والمتعـة فهـو تكفـيري وقـديما كـان يطلـق عليـه ناصبيا وبعـد ذلـك أطلـق عليـه وهابيـا وحاليا تطور الأسم إلى إرهابي وتكفيري ...

وهـذا نـص بـأطلاق لفـظ الناصـبي علـى أبـي حنيفـة مـن كتـبهم: قـال المفيـد في كتابـه (عـدة مـسائل ص ٢٥٣، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٧٠ ط قـم): .. أطلق لفظ الناصبي على أبي حنيفة...

وقـال حـسين بـن الـشيخ محمـد آل عـصفور البحرانـي في (المحاسـن النفـسانية في أجوبـة المـسائل الخراسـانية ص١٥٧ ط بـيروت): علـى أنـك قـد عرفـت سـابقاً أنـه لـيس الناصـب إلا عبـارة عـن التقـديم علـى علـيٍّ عليـه الـسلام... وقبلـها قـال في ص١٤٧ مـن كتابـه: بـل أخبـارهم تُنـادي بـأنَّ الناصـب هـو مـا يُقـال لـه عنـدهم سـنياً ... يعـني أن أهـل الـسنة كلـهم نواصـب وبالتـالي هـم تكفيريـون ومـنهم أبـا حنيفة طبعا!!!!!

وهـذا حكـم الناصـب عنـد الخـوئي ليثبـت هـذه الحقيقـة: ولا فـرق بـين المرتـد والكـافر الأصـلي الحربـي والـذمي والخـارجي والغـالي والناصـب (منهـاج الصالحين ١/١١٦ ط نجف)[2].

تطــور الأمــر إلى إطــلاق أسـم الـتكفيري والإرهـابي علـى كـل مـن يتـصدي للمـشروع الـشيعي الإيرانـي فأهـل الـسنة في العـراق الـذين قـاوموا الإحـتلال الأمريكـي هـم تكفيريـون وأهـل السنة في سـوريا الـذي تـصدوا للنـصيرية وعلـى رأسـهم بـشار هـم تكفيريـون أيـضا كـذلك أهـل الـسنة الـذين تـصدوا للحـوثيين في الـيمن هـم تكفيريـون ومـن أرد التوثـق فليـستمع الى الإعـلام الإيرانـي وحلفائـه وأذنابه...

إن إيـران الـتي دأبـت تُـسْمِعْ صـياحها ونياحهـا حـول التحـذير مـن الـتكفير هـي أكثـر مـن اسـتفاد مـن هـذا الفكـر[3] بـل إنهـا هـي مـن تـدعم الجماعـات التكفيريـة والخارجيـة ذلـك لـشيطنة أهـل الـسنة أولا وتأليـب العـالم علـيهم وضـدهم ثانيـا.. ومـن ثـم تقـديم نفـسها كبـديل محـارب ضـد الإرهـاب أمـام الغـرب.. ولا نـتكلم عـن لغـز فقـد أصـبح هـذا واضـحا لكل ذي عينين...

والكـل يعلـم أن رئـيس الـوزراء الـسابق نـوري المـالكي المتطـرف قـد سـعى لتقـديم شـكوى ضـد نظـام بـشار لتـسهيله دخـول الجماعـات التكفيريـة إلى العراق (ولعله لم يكن يفهم اللعبة بعد).

كمـا أن بـشار نفـسه قـد أطلـق الكـثير مـن عتـاة الـتكفير مـن الـسجون الـسورية لـشيطنة الثـورة الـسورية ووصـمها بالإرهـاب كمـا أن المـالكي كـذلك صـنع نفـس الفعـل عنـدما أخـرج

(١) صحيح وضعيف سنن النسائي للشيخ الألباني حكم الحديث: صحيح.

(٢) لا ندري من هو التكفيري ...

(٣) أي الفكر الخارجي.

الكثير من عتاة التكفيريين من سجن أبي غريب .. في عملية سمجة ومكشوفة ذلك للتخلص من الحراك السني العراقي آنذاك.

إن هنالك تعاون فاضح بين إيران ومن تطلق عليهم التكفيريين .. فإيران قد سهلت تدفق القاعدة من أفغانستان إلى العراق عند احتلاله من قبل الأمريكان كما إن عددا من أتباع القاعدة موجودون في إيران ... فقد نشرت وكالة الحدث الدولية وثائق قالت عنها أنها «مهمة»، و«صادرة عن جهاز المخابرات العراقي» تزعم تعاون إيران في تمويل وتدريب وتسليح عناصر ‹تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين›.

وجاء في الوثائق الصادرة عام ٢٠٠٦، أماكن تواجد المعسكرات «داخل إيران» والجنسيات التي تقوم بتدريبها على «عمليات التفجير واستخدام الأسلحة المختلفة وبإشراف عناصر من الحرس الثوري الإيراني».

كما تؤكد الوثائق المسربة، أسماء «المشرفين على تدريب عناصر القاعدة في إيران» وهم كل من «محسن رضائي نائب رئيس مصلحة تشخيص النظام الإيراني، علي شمخاني وزير الدفاع الإيراني، حسين زماني مسؤول الإدارة والميرة، الدكتور أحمد جلال قومي مسؤول الأمن الداخلي في تنظيم القاعدة»، مع وجود سبعة أشخاص آخرين من «المخابرات الأفغانية المرتبطين بالحكومة الأفغانية وينتمون إلى تنظيم القاعدة»[(١)].

وذلك بالإضافة إلى كتابات سيف العدل، أحد قيادي القاعدة، والتي أشار فيها إلى دور إيران في دعم القاعدة، خاصة في السنوات السابقة لعام ٢٠٠١. كما إن تقرير وزارة الخزانة الأمريكية حول عناصر تنظيم القاعدة أكد أنهم على صلة مباشرة بإيران، وأن منهم من كان وسيطا بين القاعدة والحكومة الإيرانية، ومن بين الأسماء التي تم إعلانها: (عادل محمد عبد الخالق في ٢٠٠٨، ومصطفى حامد في ٢٠٠٩، وياسين السوري في ٢٠١١).

وغير هذا كثير على علاقة إيران بالتنظيمات التكفيرية فإيران لا مبدأ عندها ومستعدة للتعاون مع الشيطان لتنفيذ أهدافها فالشعارات شيء والواقع شيء آخر ...

من ينظر إلى خارطة العالم الإسلامي يجد بأن كل مكان يدخله التكفيريون يمثل صفقة دسمة للولي الفقيه، فإيران هي المستفيد من قضية الإرهاب والحرب عليه ..

فحيثما حل الفكر الخارجي حلت معه وتعايشت الباطنية الشيعية، وصدق ابن تيمية عندما قال: فَهَاتَانِ الْبِدْعَتَانِ: بِدْعَةُ الْخَوَارِجِ وَالشِّيعَةِ حَدَثَتَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ. (منهاج السنة).

وكما ذكرنا فإن التكفير بدون ضوابط هو خطر محدق على كل مجتمع وهو خطر على فلسطين إن دخلها ولا يستبعد أن تسهل دخوله الصهيونية إلى الأراضي المحتلة حتى تحدث الفتن والقلاقل في مجتمعنا الفلسطيني مما يؤدي إلى تشتته ووهنه وضعفه ليكون في التالي لقمة سائغة وسهلة ابتلاعها من قبل بني يهود ..

إن إيران التي تذرف دموع التماسيح خوفا من تسلل التكفير إلى فلسطين هي في الحقيقة من تسعى لغرسه في تلك البلاد كما حصل في أفغانستان والعراق وسوريا وليبيا وقد يكون ذلك بالتعاون مع الصهيونية ..

لقد وقف مجتمعنا الفلسطيني موقفا صلبا ضد التشيع وتمدده وقد ضرب أهالي ٤٨ المثل العليا في التصدي لمشروع إيران وسفهوا كبرائها ووقفوا موقفا مشرفا مع مظلومية السنة الذين يذبحون بسكين الرفض في العراق وسوريا ..

---

(١) موقع نبض الشمال.

كذلك كان موقف أهل غزة ..

فما الحيلة أمام إيران لاختراق المجتمع الفلسطيني غير إطلاق قطعان التكفيريين لتمزيق مجتمعنا وتدميره ليكون بالتالي لقمة سائغة تخترقه إيران وهذا يمثل أيضا هدف يهودي كما ذكرنا فتتقاطع مصالح الشيعة واليهود ومثل هذا حصل كثيرا وواقعنا أكبر شاهد بل أصبح هذا من المسلمات ...

فماذا يريد اليهود غير دين يسب ويسفه خير قادتنا وأسلافنا الذين فتحوا ربوع هذه الأرض المباركة وعلى رأسها بيت المقدس المشرف ..

إذا التكفير يمثل خطرا كبيرا على فلسطين لو دخلها لكن خطورته لا تقل عن خطورة التشيع بل إن الطرفين يعملان سوية بل إن أحدهما نتاج الآخر ... فالطرفان يكفران أهل السنة ويسعون لاجتثاثهم، لذا نصيحتنا لأهلنا في فلسطين أن يكونوا منتبهين وألا يقعوا بالفخ الذي نصب لأهلنا في سوريا والعراق حيث أدخل التكفير من أجل القضاء على الجهاد في تلكم البلدين ومن ثم كان مقدمة للتدخل الإيراني والأمريكي وقد استيقظنا على احتلال إيراني للعراق وسوريا وهذا الذي يخطط لفلسطين ...أن تسقط بيد الولي الفقيه ليكون حارسا امينا لدولة اليهود كما يفعل الذنب حسن نصر الشيطان في لبنان وكما فعل آل الأسد النصرية في سوريا ليناموا بني صهيون قريري العين آمنين فالشيعة وعلى مر العصور والدهور لم يكونوا الا جسرا لكل معتدي على بلاد المسلمين ...

نسأل الله أن يحفظ أن أهل السنة في كل مكان من كيد الكائدين ومكر الماكرين اللهم آمين.

جمهورية الطحين!

د. جاسم الشمري – الغد ٢٠١٦/١٢/٢٧

لا يمكن للإنسان أن يعيش من دون مجتمع. وهذا المجتمع بحاجة لإدارة أو دولة. وتنظم العلاقة بين الدولة والمواطنين بقانون، لأنه من دون القانون لا يمكن أن تسير عجلة الحياة. وهذا القانون يسمى دستوراً، ينبغي أن يُحترم –من الدولة والمواطنين على حد سواء- لأنه وضع لحماية الدولة وهيبتها، وتحقيق ما فيه خدمة المواطن والحفاظ على إنسانيته وكرامته.

حكام العراق على مدى السنوات الثلاث عشرة الماضية التي تلت الاحتلال، يؤكدون على «هيبة الدولة»، وضرورة تطبيق الدستور وعدم مخالفته. وهذا تصميم إيجابي، لكن - واقعياً- الحال على خلاف ذلك تماماً.

اليوم، حينما نُحاول متابعة بعض الظواهر الغريبة عن ثقافة العراقيين قبل العام ٢٠٠٣، نجد جملة من العجائب التي تهز الضمير وتحرك الوجدان وتثير الانزعاج لكثرتها، وغالبيتها تتم بمباركة الحكومة وتأييدها. من بينها ظاهرة أو حكاية القيادي في الحشد الشعبي «أبو عزرائيل».

«أبو عزرائيل»، واسمه الحقيقي أيوب فالح الربيعي، يمتاز ببشرة سمراء، وجثة ضخمة، حليق الرأس ولحيته سوداء وكثة الشعر، ويحمل غالباً بندقية وسيفاً وأجهزة اتصالات، ويتجول في مختلف مدن العراق برفقة اثنين من الحماية الخاصة به.

الحكاية ببساطة أن «أبو عزرائيل» ظهر في عشرات مقاطع الفيديو وهو يهدد بعبارة «إلا طحين»، ويقصد بها أنه سيطحن «الأعداء». فصار معروفاً بكلمة «إلا طحين».

والملاحظ أن «أبو عزرائيل» يتصرف وكأنه مسؤول حكومي من ناحية اللقاءات والتصريحات. ومن بين لقاءاته - الرسمية وغير الرسمية- مقابلة وفد من الحوثيين، وتهديده للسعودية، وظهوره مع قاسم سليماني الزعيم في الحرس الثوري الإيراني. وهو يتدخل حتى في شؤون الدولة الداخلية والخارجية، وبلغ الأمر درجة تهديده لتركيا وبعض دول الجوار، وتهكمه على رئيس حكومة بغداد، هذا فضلاً عن تصويره للعديد من الجرائم وهو يتفاخر بها.

قناة «فرانس ٢٤» وصفت «أبو عزرائيل» بـ«رامبو العراق». ووكالة «رويترز» ذكرت عن تاريخه أنه «تنقل بين فصائل مقاتلة قبل أن ينتمي إلى مليشيات «كتائب الإمام علي» التي يقودها حجي شبل (ثري مقرب من رئيس الوزراء العرقي السابق نوري المالكي). ويقال إنها تحصل على رعاية إيرانية خاصة، حيث تتلقى تمويلها من طهران ويدربها ضباط من الحرس الثوري وحزب الله اللبناني.

وأضافت الوكالة، في ٢٨ آب (أغسطس) ٢٠١٦، أن صورا نشرتها مواقع التواصل الاجتماعي أظهرت قيام أبو عزرائيل بحرق جثة قال إنها لمقاتل سني في تنظيم «داعش» بمدينة بيجي، وتعليقها من قدميها على نار مشتعلة، وتقطيعه أوصالها - التي اهترأت بسبب الاحتراق- بسيف يحمله في يده.

وعلى رغم ذلك، وفي أيار (مايو) ٢٠١٥، تلقى أبو عزرائيل «وسام المرجعية» من ممثل المرجعية في كربلاء. وقبل أيام، تداول ناشطون في مواقع التواصل الاجتماعي مقطع فيديو ظهر فيه «أبو عزرائيل» بصحبة السفير الروسي في بغداد، والذي قال بلغة عربية ركيكة: «إلا طحين»!

هذه الأفعال غير القانونية والمتخلفة، متناقضة مع المبادئ الأساسية في الدستور العراقي. إذ تؤكد المادة (١) على أن: «جمهورية العراق دولة اتحادية واحدة مستقلة ذات سيادة كاملة». وكذلك المادة (٧): «تلتزم الدولة بمحاربة الإرهاب بجميع أشكاله».

وبموجب ما تقدم من نصوص قانونية نتساءل: هل هذه الأفعال الإرهابية والتهديدات العلنية الصريحة للمواطنين ولدول الجوار، وكذلك اللقاء بمسؤولين رسميين وغير رسميين من العراقيين والإيرانيين واليمنيين هي نشاطات رسمية أم من دون علم الدولة؟ وهل أبو عزرائيل مسؤول في الدولة العراقية حتى يطلق هذه التصريحات المدمرة لعلاقات العراق الإقليمية؟ وهل مجمل هذه الأفعال تُعد من دعائم بناء جمهورية العراق أم جمهورية «أبو عزرائيل» أو جمهورية الطحين؟

الدول التي تعتز بنفسها لا تسمح بمثل هذه الظواهر أن تنتشر، لأنها نوع من عصابات الشوارع التي تتغول في الغابات المهجورة، وفي المناطق النائية! وينبغي أن تنشر هيبة الدولة بالعدل والقانون وإيقاف هذه الرموز الهدامة لأسس التعايش المجتمعي والسلم الوطني والدولة المدنية.

"عربيو طهران".. أو المنتصرون المزمنون

منار الرشواني – الغد ٢٠١٦/١٢/١٧

أغلب، إن لم يكن جميع أتباع إيران العرب الحاليين، كانوا من أشد مؤيدي صدام حسين بلا قيد أو شرط، حتى الاحتلال الأميركي للعراق في العام ٢٠٠٣. وما يُفترض أن يكون مفارقة هو أن هؤلاء ذاتهم سيعلنون سريعاً انتصارهم بعد سقوط نظام صدام! وذلك، بشديد بساطة، عبر عكس ولائهم وتأييدهم ليغدو لخصم البعث الأشد في العراق؛ أي إيران التي صارت تسيطر على بغداد.

طبعاً، يبرر هؤلاء القوميون واليساريون نقل البندقية من الكتف إلى الكتف بزعم «ملء الفراغ»؛ أي إن الاحتلال الإيراني أفضل من

الاحـتـلال الأميركـي. وهـم ينطلقـون في ذلـك مـن قناعـة بـ«غبـاء الـشعوب العربيـة» ونـسيانها أن عروبيي ويـساريي طهـران تحديـداً، كـانوا الـسباقين إلى إصـدار كـل الفتـوى القوميـة واليـسارية ناهيـك عـن الدينيـة الـتي تحـرم علـى الحكومـات العربيـة، تحـت طائلـة التخـوين، التعامـل مـع «المنطقـة الخـضراء» الـتي تمثـل الاحـتلال الأميركـي وعمـلاءه! وهـي الخيانـة - بتوصـيفهم- الـتي ستـصبح مـبررهم للـدفاع عـن الاحتلال الإيراني للعراق.

انـسجاماً مـع هـذا الـولاء الجديـد، سيـصبح صـدام حـسين بتـصريحاتهم «إرهابيـاً». فلـيس هـذا الوصـف بـسبب مراجعـة أدت إلى احـترام مبـدئي لحقـوق الإنـسان، يـتم علـى أساسـه قيـاس سـجل بعـث العـراق إبـان عهـد صـدام؛ بـل العكـس! صـار صـدام إرهابيـاً في نظـر مؤيديـه القـوميين والأممـيين الـسابقين، فقـط لتبريـر إبـادة مـن تـسميهم طهـران ووكلاؤهـا في بغـداد «فلـول/ أيتـام» صـدام، وهـم لا يشملون أقل من سُنّة العراق ككل!

حتمـاً يعـرف الجميـع أن «انتـصار» احـتلال العـراق لـيس الأول ولـن يكـون الأخـير، لـدى هـؤلاء القـوميين واليـساريين. فـالنموذج الأول كـان بـ«انتـصار» نكـسة العـام ١٩٦٧؛ حـين أفـشل جمـال عبدالناصـر والبعـث الـسوري العـدوان الإسـرائيلي، فقـط ببقائهمـا في الحكـم، لقـاء ثمـن بخـس، هـو سـيناء والجـولان والـضفة الغربيـة! كمـا أنـه نـصر يحققونه الآن في حلب.

فـ«عروبيـو طهـران» لا يـترددون بالاحتفـال علـى الـرغم مـن أن كـل الأكاذيـب الـتي ألقوهـا علـى المعارضـة الـسورية لتبريـر الجـرائم بحـق الـسوريين جميعـاً، لا تتجـسد حقيقـة لا جـدال بـشأنها إلا علـى الطـرف المقابـل فقـط. فمـن اسـتجلب التـدخل الخـارجي هـو بـشار الأسـد، والـذي يـدين أيـضا ببقائـه لعـشرات الميلـشيات مـن المرتزقـة متعـددي الجنـسيات، إنمـا الموحـدين في الانتمـاء الطـائفي والتمويل الإيراني.

طبعـاً، ولأن أتبـاع إيـران يعتـبرون كـل معـارض للأسـد، ولـو سـلمياً، «داعـشياً»، فتـسمع مـن يخـبرك أن المعارضـة أيـضاً متعـددة الجنـسيات (بإدخـال عناصـر «داعـش» ضـمنها). ولا يبـدو معيبـاً أو مخجـلاً بالنـسبة لهـم أن يمـاثلوا بـين رمـز قـوميتهم ويـساريتهم، ومـن يعتبرونـه «رئـيس دولـة شـرعي»، وبـين تنظـيم إرهابي!

لكـن مـع اتـساق مفهـوم «النـصر» لـدى هـذه الفئـة، تجـب ملاحظـة الانحـدار في الـثمن الـذي تدفعـه. فـرغم «النكـسة»، بقـي الاحـتلال الإسـرائيلي احـتلالاً ولـو بالتـصريحات. أمـا «احـتلال العـراق» فـصار مـدعاة للتبـاهي بالعلاقـات الوطيـدة مـع المحتـل الإيرانـي. فيمـا «نـصر حلـب» فيـستدعي الاحتفـال لا بـاحتلال روسـي إيرانـي فقـط، بـل أيـضا بـتهجير أهـل حلـب علـى أسـاس طـائفي، كمـا غيرهـا مـن مـدن وبلدات سورية خرجت مطالبة بالحرية والكرامة.

بعـد ذلـك، يمكـن لنـا تخيـل أي كارثـة ستكـون عنوانـاً لانتـصار هـؤلاء في فلـسطين! ولا سـيما أن أكـبر إهانـة واسـتفزاز اليـوم للـشبيحة العـابرين للحـدود سـؤال: متـى الموعـد مـع التحريـر الإيرانـي- الروسـي لفلـسطين؟ علمـاً أن الخرافـة المؤسـسة للانتـشاء بقتـل العـراقيين والـسوريين هـي البحـث عـن الطريق إلى فلسطين.

هندسة الجهل

محمد الحاجي – صحيفة مكة ٢٠١٦/٦/٨

على مر الأزمنة، تصارع السلاطين والساسة على حق امتلاك المعرفة ومصادر المعلومة. فالمعرفة قوّة وسلاح، بشكلٍ يوازي المال والعتاد العسكري. ولأن المعرفة بهذه الأهمية، هنـاك مـن يحـاول الاسـتئثار بهـا لنفسه. ولهـذا تأسـس مجـال «إدارة الفهـم» في الأوسـاط الأكاديميـة والسياسية. تُعرّف وزارة الدفاع الأمريكيـة مفهوم «إدارة الفهـم Perception Management» بأنـه أي (نـشر) لمعلومات أو أي (حذف) لمعلومات لأجل التأثير على تفكير

الجمهور والحصول على نتائج يستفيد منها أصحاب المصالح. ولأن النشر والحذف يتطلّبان أساليب دقيقة ومعرفة تامة بعلم النفس والسلوك والإدراك، قام باحث ستانفورد المختص بتاريخ العلوم Robert Proctor بصياغة ما يُعرف بعلم الجهل Agnotolgy وهو العلم الذي يدرس صناعة ونشر الجهل بطرق علمية رصينة.

بدأ علم الجهل في التسعينات الميلادية، بعدما لاحظ الباحث دعايات شركات التبغ التي تهدف إلى تجهيل الناس حول مخاطر التدخين. ففي وثيقة داخلية تم نشرها من أرشيف إحدى شركات التبغ الشهيرة، تبيّن أن أبرز استراتيجية لنشر الجهل كان عن طريق «إثارة الشكوك في البحوث العلمية التي تربط التدخين بالسرطان». ومن حينها انطلق لوبي التبغ في أمريكا لرعاية أبحاث علمية مزيّفة هدفها تحسين صورة التبغ اجتماعيا ونشر الجهل حول مخاطره.

كما هو مُلاحظ هنا، الجهل ليس انعدام المعرفة وفقط، بل هو (مُنتَج) يتم صنعه وتوزيعه لأهداف معيّنة، غالبًا سياسية أو تجارية. ولتوزيع هذا الجهل بين أطياف المجتمع، انبثقت الحاجة لمجال «العلاقات العامة»، الصنعة التي تُعتبر الابن الأصيل للحكومة الأمريكية على حد تعبير تشومسكي. فعن طريق لجان «العلاقات العامة» تم تضليل الرأي العام الأمريكي والزج به في الحرب العالمية الأولى سابقا وغزو العراق لاحقا، بما كان يُعرف بال Creel Commission.

هذا التضليل استراتيجي ومُمنهج حسب أساسيات علم الجهل، والتي تستند على قنوات ثلاث: بث الخوف لدى الآخرين، إثارة الشكوك، وصناعة الحيرة. وليس هناك أنصع مثالا من الحكومات في تجسيد مبدأ إثارة الرعب لدى المواطنين لتمرير مصالحها وأجندتها. فتارة، يتم صنع أعداء وهميين لتحشيد الرأي العام، وتارة يتم ترعيب الجمهور بالقدر المظلم إذا لم يشاركوا في هذه المعركة وتلك، وكأن الأرض ستفنى بدون هذا «الهجوم المقدّس». لا غريزة بشرية تنافس غريزة حب البقاء، ولذا من الممكن أن تبيع السمك في حارة الصيادين عندما تهدّد أمنهم وبقاءهم!

وأما إثارة الشكوك فهو ثاني أعمدة التجهيل، ويتم توظيفه غالبا في القطاع التجاري والاقتصادي، وهذا بالتحديد منهج الكثير من الشركات. فبعد هبوط مبيعاتها بنسبة ٢٥٪، بدأت شركة كوكا كولا العالمية بدفع ما يقارب ٥ ملايين دولار لباحثين أكاديميين لتنفيذ مهمة تغيير فهم المجتمع حول أسباب السمنة، وذلك بتقليل دور المشروبات الغازية في انتشار السمنة وتوجيه اللوم إلى عدم ممارسة التمارين الرياضية! هذه «الأبحاث المدفوعة» يتم نشرها لإثارة الشكوك في ذهنية الفرد حتى يعيد تشكيل موقفه بما يتناسب مع أجندة هذه الشركات.

ولأن كثرة المعلومات المتضاربة تصعّب من اتخاذ القرار المناسب، يدخل الفرد في دوّامة من الحيرة حتى يبدو تائها وجاهلا حول ما يجري، ويزيد العبء النفسي والذهني عليه، فيلوذ بقبول ما لا ينبغي القبول به، طمعا في النجاة من هذه الدوامة، وهذه تحديدا هي الغاية!

في هذا العصر الرقمي، بات الجهل والتضليل سلعة يومية تُنشر وتُساق على الجمهور، من حكومات وشركات وأصحاب نفوذ. والصمود أمام كل هذه القوى يتطلّب جهودا ذاتية ووعيا مستقلا يبحث عن الحقيقة بعيدا عن العاطفة والأمنيات. وسيكون من قصر النظر وفرط السذاجة لو اعتقدنا أن «علم الجهل» و«إدارة الفهم» و«العلاقات العامة» محصورة على الغرب، بل هي أقرب إلينا من أي شيء آخر!

"كُن طائفي"

حذيفة العرجي

يقولونَ لي: لا تكن طائفي..
أُحاولُ.. لكنني أفشلُ
فباسمِ عليٍّ أنا أُقتَلُ
وباسمِ الحُسينِ أبي يُقتلُ
وعمّي، وخالي..
وأمّي و أُختي
وكلّ رفاقي..
فما أفعلُ؟

❖❖❖

يقولونَ لي: لا تكُن طائفي..
تعايش بُحبٍّ معَ القاتلينَ
معَ المُجرمينَ..
معَ الشاربينَ دماء البَشَرْ
معَ الوحشِ يقتلُ كلَّ غُلامٍ تَسمى عُمَرْ
يُريدونَ منّيَ شُربَ دمائي
بكلِّ برودٍ، وكلِّ غباءٍ

❖❖❖

يقولونَ لي: لا تكن طائفي..
وخُذ بالتقيَّةِ كالآخرينْ
وأرفضُ طبعاً..
فلستُ وشِعريَ كالآخرينْ
وفعلُ التقيّةِ فعلُ النِفاقْ
ولو قالَ فيهِ جميعُ الرفاقْ
يريدونَ منّيَ ألّا أُبينْ
وأن أجعلَ الشِعرَ عبداً ذليلاً
يعيشُ على فضلَةِ الظالمينْ
وأرفضُ طبعاً..
لأنّي بكُلّ اعتزازٍ وفَخرٍ
نذرتُ حياتيَ للمُتعبينْ

❖❖❖

يقولونَ لي: لا تكُن طائفي..
فما أبشعَ الشاعرَ الطائفي
أَفِقْ وانتبه.. كلُّنا مسلمونْ
وإنّي أشكُّ!
- أشكُّ الحقيقةَ- في أنّهُم مُسلمونْ!
فهل مُسلمٌ من يسبُّ عُمرْ؟
ويرمي العفيفةَ بالفاحشة؟
ويأمَنُ جانبَهُ الكافرونْ
ولا يأمنُ المسلمونْ؟
يقولونَ لسنا نسبُّ الصحابةَ..
واللّهُ يشهدُ والمؤمنونْ
وشِعري أنا.. أنّهُم كاذبونْ

❖❖❖

يقولونَ لي: لا تكُن طائفي..
فليسوا يهوداً..
نَعم في الحقيقةِ ليسوا يهودْ
ولكنَّهُم يخدمونَ اليهودْ!

❖❖❖

يقولونَ لي: لا تكُن طائفي..
وآهاتُ أُمي التي في العِراقِ
وصرخاتُ أُختي التي في اليَمنْ
وطفلي الذي في دمشقَ يُباعُ بدونِ ثَمنْ
وعَجزُ الشيوخِ، وخوفُ اليتامى
وجُرحُ الشَهيدِ بغيرِ كَفَنْ
يُنادينَني:
بريءٌ عليُّ منَ الظالمينَ
بريءٌ حسينُ.. فكُن طائفي!

الإرهاب الإيراني والشيعي بترويج المخدرات



تعتبر إيران من أكبر مهربي المخدرات في العالم، فهي أكبر مشترٍ للأفيون الأفغاني، وهي كذلك أكبر منتج للهيروين الذي تستخرجه من الأفيون الأفغاني لتهريبه وتوزيعه في العالم، فهي تربط بين مزارع الإنتاج في أفغانستان وأسواقِ الاستهلاك في الدول الأخرى عبر أذرعها "فيلق القدس" لدول الجوار، وعبر "حزب الله في لبنان وشركائه من مافيا السلاح والمخدرات وتبييض الأموال لدول أوروبا وإفريقيا وأميركا اللاتينية، حيث يقال إن عندهم فتوى من الولي الفقيه تبيح لهم تهريب المخدرات!

وتعد إيران من أكثر دول العالم في تداول المخدرات حيث يقدر استهلاكها السنوي ٥٠٠ طن! بقيمة ٣ مليارات دولار، لإلهاء الشعب الإيراني عن واقعه وعدوان مشروع الملالي على العرقيات الداخلية والدول المجاورة.

يعترف كثير من ساسة إيران بقيام النظام والحرس الثوري بالتجارة وتهريب المخدرات، فهذا الرئيس السابق لإيران أحمدي نجاد اتهم الحرس الثوري بتهريب المخدرات عندما وصفهم في أحد تصريحاته "بالإخوة المهربين" وهم الذين يمتلكون عددا من الموانئ، أما الدبلوماسي الإيراني السابق أبو الفضل إسلامي فقال في ٢٠١٥/٣ عبر راديو زمانه الإيراني بأن تهريب الحرس الثوري للمخدرات بدأ في الثمانينيات من القرن الماضي.

وكان مصطفى بور محمدي وزير العدل الإيراني قد صرح لصحيفة تجارت فردا في ٢٠١٣/١، قائلاً: "مما لا شك فيه فإن تهريب المخدرات بأي شكل من الأشكال خيانة للبشرية، ولا فائدة ولا خير فيها ليقوم أحد الأجهزة بممارسته، فمن يفعل ذلك، ومن يفكر في ذلك بدون أدنى شك أنه يضر البلاد، وسوف لن نرى الخير والبركة ولا المنفعة من وراء ذلك"، في تلميح للحرس الثوري، أما رحماني فضلي وزير الداخلية في حكومة روحاني فيصرح ويقول: "الأموال القذرة الناجمة عن تهريب المخدرات تستخدم في جميع القطاعات... قسم من الأموال القذرة الناجمة عن المخدرات تدخل السياسة والانتخابات ونقل السلطة السياسية في البلاد".

أما محسن سازغارا أحد مؤسسي الحرس الثوري المنشقين فيعلنها بقوله: "الحرس الثوري ضليع في تهريب المخدرات وتجارة الجنس".

أمثلة لعدوان إيران ومهاجمة دول العالم وإغراقها بالمخدرات

١- العراق:

صرح مدير اللجنة الوطنية العراقية لمكافحة المخدرات؛ ومحافظ مدينة ديالى عمر الحميري أن ٩٠٪ من المخدرات في العراق مصدرها إيران، وأن الهدف هو إغراق العراق ودول الخليج بالمخدرات، عبر الحدود البرية المشتركة ومطار النجف لأن الطائرات المدنية التابعة للحرس الثوري لا يتم تفتيشها بتواطؤ بعض المليشيات الشيعية الموالية لإيران.

٢- دول الخليج:

في ٢٠١٢/٣، قبضت السعودية على شحنة مخدرات قادمة من إيران تبلغ نصف طن من مادة الحشيش.

وفي ٢٠١٤/٤ أحبطت السعودية محاولتين لتهريب ٢٢ مليون قرص مخدر، قيمتها مليار و٣٨ مليونا، تتبع شبكة تهريب دولية يقودها سوريون وإيرانيون.

وفي ٢٠١٤/١٠ بالإمارات ضبطت ٥ ملايين حبة مخدرة، كان سيتم توزيع نصفها في الإمارات، والنصف الآخر يتوجه إلى السعودية.

وفي ٢٠١٥/١٢، ضبطت باخرة إيرانية حاول قبطانها تهريب كمية كبيرة من المواد المخدرة وضبط شخصان يحملان الجنسية الإيرانية عبر ميناء خالد البحري بإمارة الشارقة.

وفي ٢٠١٥/٨، ضبطت في مطار الكويت شحنة قادمة من لبنان تحوي ٤ ملايين حبة مخدرة.

وفي ٢٠١٠م اتهم الرائد مبارك بن عبد الله المري، مدير جهاز مكافحة المخدرات في البحرين السلطات الإيرانية بأنها تقدم تسهيلات لمهربي المخدرات التي تنطلق من الأراضي الإيرانية باتجاه البحرين.

٣- اليمن:

أعلن مصعب الصوفي، نائب مدير مكافحة المخدرات اليمني، أن بلاده ضبطت ٣٣ طناً من الحشيش خلال عام ٢٠٠٩ غالبها قادمة من إيران كانت ستهرب إلى دول الخليج خاصة السعودية. وهو ما تؤكده إدارة المخدرات السعودية التي تقول إن ٨٠٪ من حجم المخدرات المضبوطة مصدرها اليمن.

٤- أذربيجان:

نشر موقع "ويكيليكس" برقية عن السفارة الأمريكية في أذربيجان تستند إلى تقارير سرية لمحققي الأمم المتحدة أن كميات الهيروين التي مصدرها إيران، والمصدرة إلى أذربيجان، ارتفعت من ٢٠ ألف كيلوغرام في ٢٠٠٦، إلى ٥٩ ألفا في الربع الأول من ٢٠٠٩ وحده، وأن أذربيجان من الطرق الرئيسة لتصدير الهيروين نحو أوروبا والغرب.

٥- تركيا:

حيث أن ٧٠٪ من تجار المخدرات الذين قبض عليهم في تركيا مؤخراً على علاقة وثيقة بإيران، إذ عمدوا إلى استئجار أراض داخل إيران قريبة من الحدود التركية لزراعة المخدرات فيها ومن ثم نقلها إلى تركيا وتسويقهاً في البلدان الأوروبية.

٦- ماليزيا:

في ٢٠١٤/٤ أعلن مرتضى جاودان السفير الإيراني في كوالالمبور، بأنّ ٨٦ سجيناً إيرانياً في ماليزيا حكم عليهم بالإعدام بتهمة تهريب المخدرات، من إجمالي ٢٢١ سجيناً إيرانياً، معظمهم متهمون بجرائم متعلقة بتهريب المخدرات.

٧- أوروبا:

في ٢٠١٤/١ ضبطت الجمارك الألمانية ٤٥ كيلوجرامًا من الهيروين، تم تعبئته داخل السجاجيد التي تصدرها إيران إلى بلجيكا وفرنسا وبولندا وافريقيا.

٨- الصين:

في ٢٠١١ بالصين تم ضبط أربعة قوارب لشركات تتبع الحرس الثوري، فيها كميات كبيرة من المخدرات كانت متجهة لأستراليا ونيوزلندا.

٩- حزب الله:

اعترف الإيراني منصور سيار، الذي قام بالتخطيط لاغتيال وزير الخارجية السعودي بوجود علاقات تجمع بين حزب الله اللبناني وإيران بعصابات تهريب المخدرات في المكسيك.

وأقام حزب الله اللبناني علاقات تجارية وشبكات واسعة مع كارتيلات المخدرات في أمريكا الجنوبية مثل مجموعة أوفيسينا دي انفيغادو الكولومبية الشرسة والمتخصصة في تهريب كميات ضخمة إلى الولايات المتحدة وأوروبا انطلاقاً من المثلث الحدودي على حدود البرازيل والأرجنتين وأوروغواي، حيث يشتري ويهرب مئات الأطنان من المخدرات التي يحتكرها في منطقة الأنديز، لتجد طريقها إلى فنزويلا، ومنها تنطلق السفن لإغراق السوق الأوروبية مروراً بغرب وشمال أفريقيا، حيث يعتمد الحزب على قوته المالية لشراء صمت وتورط ضباط كبار في فنزويلا، وشيوخ قبائل الطوارق والسياسيين في الصحراء الكبرى في أفريقيا.

